

ارسيڻ لويڻ

الخدمه الكبرى

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^



مغامرات "أرسين لوپين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوپين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلي قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوپين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

Canada	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	ل ٢٠٠٠	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	د ١٠	الإمارات	ل ٧٥	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	د ١	البحرين	د ١	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١٠٥	تونس	ر ١٠	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	د ١	مسقط	ر ٦	السعودية

الفصل الأول

أشرفت الساعة على الثالثة بعد منتصف الليل . ومع ذلك كان هناك رتل من السيارات لا يزال قائماً بباب دار من تلك الدور الصغيرة التي يقطنها رجال الفنون في الغالب والتي تطل على شارع (برتييه) . وانبعث لغط من وراء باب ذلك البيت . ثم فتح وبرز منه نفر من الضيوف رجلاً ونساء خرجوا إلى الطريق وهم يتصاحكون ويتحادثون .

وتحركت المركبات للمسير فانعطف بعضها يمينا ومضى بعضها يساراً . فلم يبق في المكان إلا رجلان مشيا معا يتجادبان اطراف الحديث ثم افترقا عند ناصية شارع «كورسيل» حيث يقم أحدهما ، أما الثاني فتابع طريقه متجها إلى (بورت مايو) وقد أثر أن يرجع إلى داره سيراً على قدميه .

ثم عبر شارع (فيليه) واستمر في سيره على الإفريز المقابل في محاذاة الحصون الحربية القائمة هناك .. وطاب له المسير في ذلك الليل الهادئ ذي السماء الصافية التي تتالق النجوم في صفحتها ، والسكون يرجع صدى خطواته ، وهو يضرب الأرض بقدميه في جذل ومرح .

على أنه ما مشى بضع دقائق حتى وقع في روعه أن هناك من يتعقبه . وتيقن من الأمر حين أدار راسه فجاءه فلمح شبح رجل يتوارى بين الأشجار .

وما كان صاحبنا بالجبان الرعديد ، ولكنه رأى من الحكمة أن يجعل في السير ليلبغ (أو كترزوا دي تيرين) في أقصر وقت ممكن ، وما أدرك مطارده بغيته حتى انطلق يجري في إثره . فاشتد القلق بالرجل واستدار ليواجه خصمه وقد امتدت يده إلى جيبه الخلفي ليخرج مسدسه .

ولكن الوقت كان اضيق من أن ينفس لإخراج المسدس فقد انقض عليه مطارده في سرعة البرق الخاطف ، ونشب بين الرجلين عراك

عنيف في ذلك الطريق المهجور الذي انقطعت منه أقدام السابلة في مثل تلك الساعة من الليل ، ثم التحم منهما الجسمان ، وانتهالت اللكمات ، وأدرك صاحبنا أن خصمه أقوى منه بنية وأشد مراسا ، فصرخ يستنجد بأعلى صوته ، وأخذ يفاضل عن نفسه ما وسعه النضال . ولكن ما عسى تغني الصرخات وهي تتبدد في الهواء ، وما عسى يغني النضال إزاء خصم عنيد يحقق فنون الصراع ؟

وأخيراً أصابته لكمة حاسمة ألقت به على الأرض صريعاً لا يقوى على النهوض ، وجثم خصمه الجبار فوق صدره ، وأطبق بيد على عنقه ، وأخذ باليد الأخرى يحشو فمه بمنديل جعل منه كمامة تمنعه من الكلام .

أغمض الرجل عينيه في تعب وإعياء ، وانبعث في أذنيه طنين عجيب وأدرك أنه يوشك أن يفقد رشده ويصاب بنوبة من الإغماء . وفجأة ... وعلى غير انتظار .. تراخت الأصابع التي تخنق عنقه .. وانزاح الثقل الجاثم فوق صدره .

وبدوره .. انبعث خصمه واقفاً ليدافع عن نفسه ضد هجمة فجائية غير متوقعة .

وأعقب هذا ضربة من عصا .. وركلة من قدم .. ثم تاوه الرجل متوجعاً ، وانطلق يجري وهو يسب ويشتم .

ولم يخطر للمنقذ أن يتعقب الهارب وإنما مال فوق المعتدى عليه وهو صريع على الأرض وقال في صوت تدل نبراته على العطف والرفق:

- هل أصابك سوء يا سيدي ؟

فهز الضحية راسه وقال في صوت خافت إنه بخير ، ولكنه متعب منهك القوى لا يستطيع النهوض .

وأقبل شرطي على الجلبة فاستدعى مركبة حملت الرجل ومنقذه إلى شارع (الجيش) .

وحين بلغت المركبة بيت الرجل ، وكان قد أفاق مما أصابه أخذ يكيل الشكر لمنقذه . قال في لهجة تدم عن الاعتراف بالجميل :

- إنني مدين لك بحياتي يا سيدي .. وكمن موقنا من أنني لن أنسى

حسن صنيعك .. ويجب أن أقدمك يا سيدي إلى زوجتي لتزجي إليك
الشكر بنفسها . ولكني أؤثر أن أرجئ الأمر إلى الغد حتى لا أزعجها
بالنبا في مثل هذه الساعة من الليل ، فهلا تناولت الغداء معنا غداً ؟
ولما أبدى المنقذ شيئاً من التردد أخذ الرجل يلحف في رجائه وذكر
له أنه يدعى "لادوفيك أمبرت" وأردف يقول :
- وهل لي أن اتشرف بمعرفة اسمك يا سيدي ؟
فاجاب الآخر في غير تردد :
- بكل تأكيد .. إنني ادعى "هوراس فيلمونت"
و"هوراس فيلمونت" أحد الأسماء العديدة التي ينتحلها "أرسين
لوبين" حين يريد أن يخفي شخصيته !
* * *

حين استيقظ "لوبين" في صباح اليوم التالي واستعاد إلى ذهنه
حوادث الليلة الماضية أخته نشوة من الغبطة والابتهاج .. ألم تصبح
الغاية التي ينشدها دانية ميسورة .. ! ألم يعد الهدف المرتقب في
متناول يده !

ألا إنها لغاية تستحق ما يبذل من جهد ومشقة !

ملابن "أمبرت" .. إنه ليشتهيها ويتلطف إليها ! وفي سبيلها لن
يحجم عن شيء ولن يتردد في انتهاج كل حيلة ممكنة . وغادر "لوبين"
فراشه وأرتدى ثيابه .. ولكنها لم تكن الثياب المألوفة التي اعتاد أن
يلبسها كل يوم .. فقد برص على أن يضفي على نفسه مظهر الفاقة
والعوز : جاكته حال لونها ، وقبعة قدم طرازها ، وبنطلونها لم ير
الكواء منذ أمد طويل . ! كانت ملابسه نظيفة ولكنها قديمة ..
والنظافة والقدم إذا اجتمعا كانا دليلاً على أن صاحبهما رجل
تكرت له الأيام وخانته الحظوظ .

وفي هذا الزمير العجيب أخذ "لوبين" يهبط درج مسكنه القائم في حي
(مونمارتر) . فلما بلغ الطابق الثالث قرع بمقبض عصاه باباً مغلقاً
دون أن يقف أو يتريث .. وإنما تابع هبوطه حتى خرج إلى الطريق .
ومرت به مركبة الترام فوثب إليها ، وصعد خلفه رجل كان يمضي في
إثره واتخذ مجلسه إلى جواره .

وما كان هذا الرجل إلا ساكن الطابق الثالث الذي طرقة "لوبين" عند
نزوله .

وبعد لحظات مال الرجل إلى "لوبين" وقال في صوت منخفض :

- ما رايك يا رئيسي ؟

فاجاب "لوبين" دون أن يدير رأسه إلى ناحيته :

- كل شيء على ما يرام .

- كيف ؟

- لقد دعاني للغداء عنده اليوم .

- دعاك للغداء !

فضحك "لوبين" ضحكة خفيفة وأردف يقول :

- أكنت تريد مني أن أجازف بحياتي لقاء لا شيء ! ! احسبتي ممن
يستهدفون للاخطار عبثاً ! لقد انقذت مسيو "لادوفيك أمبرت" من
المحنة التي أعدتها أنت له فشكرني وأثنى علي ودعاني لتناول الغداء
معه .. لقد كانت خدعة حاذقة يا بني ! "لوبين" يدبر اعتداء مزعوماً
على "أمبرت" ثم يخف إلى نجدته ! معتد ومنقذ في وقت واحد !
يا للبراعة !

وساد صمت قصير قطعه الرجل بقوله :

- إذن فلا تزال مصراً على رايك ؟ ألا تنوي العدول ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- أبعدل "لوبين" يا بني بعد أن قطع هذا الشوط الكبير في سبيل
الغاية المنشودة ! لقد دبرت اعتداء الليلة الماضية .. وظللت منزويًا
عند الحصون حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. ثم هويت على
راسك بعصاي وزكلكت بقدمي ، وأنت أخلص أعواني وأصدقهم في
خدمتي ، فهل تبغي مني بعد هذا أن انكص وأراجع ! والله إنك
لتجهل "لوبين" أشد الجهل يا بني ! وهذه الملايين التي تتألق أمام
عيني وتكاد تبهر مني بالبصر ! كيف تطلب إلي أن أتخلي عنها ..
فقال الرجل معترضاً :

- وهذه الإشاعات المقلقة التي ترونها إلا من عن تلك الثروة ؟

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليريدوا ما شاعوا فلست ابالي بما يهرفون . ! منذ ستة اشهر بدأت اهتم بهذه المسألة .. ستة اشهر وانا انقب وابحث واجمع المعلومات . ستة اشهر وانا ادبر الخطط واهيئ الفخاخ واتحرى عن السر المجهول من الخدم والمرايين .. ستة اشهر وانا اتعقب "امبرت" وزوجته وارقبهما وادرس كل حركة من حركاتهما .. فكيف تسألني بعد هذا عما إذا كان في نيتي أن أرجع القهقري ! الا إنها لتكون حماقة كبرى لو أن مثل هذا الخاطر طاف بذهني مجرد طواف . والآن بعد هذه التحريات الدقيقة المتشعبة أستطيع أن أؤكد لك أن الثروة موجودة . ا وليس يعنيني إن كانت قد جاءت من "راوفورد" أو من مصادر أخرى .. وإنما حسبي من الأمر أنها موجودة . ! ومثل هذه الثروة إن وجدت فلن يتخلى عنها "كوبين" ..

فغمغم الرجل يقول في لهجة المتلفه الضمان :

- يا إلهي ؟ ! إنها لكنز عظيم . ! مائة مليون فرنك . !

- فلتنك عشرة . ! أو خمسة . ! هذا امر يعروه الشك .. ولكن الشيء الذي لا تخالطه نرة من الريبة هو أن خزانة "امبرت" عامرة بالسندات . إنها مكتظة برزم ضخمة من السندات حتى لتكاد تتفجر جوانبها . ! وإني لاكون أخبى الناس إن عجزت عن الاستيلاء على المفتاح عاجلاً وكانت المركبة قد بلغت إذ ذاك ميدان النجمة ، ليتوال ، فقال الرجل :

- أما من تعليمات جديدة تصدرها إلي . ؟

- نعم .. فلا يزال في الوقت متسع . وسانبتك حين أكون في حاجة إلى أية معونة .

* * *

وبعد خمس دقائق كان "ارسين كوبين" يطرق باب قصر "لافويك امبرت" .

وقدمه رب الدار إلى زوجته ..

و"جرفيز" امرأة بيضة الجسم لطيفة المعشر حلوة الحديث ، ولكنها ثرثرة مولعة بالكلام . لا تكاد ترد لسانها إلى حلقها .

واقبلت على "كوبين" تحببه وترحب به ترحيباً حاراً وهي تقول :

- لم نشأ أن ندعو اليوم أحداً إلى مائدتنا رغبة منا في أن نكرس كل

وقتنا للترحيب بمنقذنا الشهم .

ومنذ اللحظة الأولى أخذ "امبرت" وزوجته يعاملان "منقذهما الشهم" كأنه صديق قديم توثقت بينه وبينهما أوامر المعرفة والمودة ، وما شارفت المادبة نهايتها حتى كانت صلات الصداقة قد رسخت وتوطئت .. فتبوتت الأسرار . وانكشفت طوايا القلوب .. ولم يعد أحد منهم يكتف عن صاحبه خفايا النفس ..

فحدثت "كوبين" طويلاً عن نفسه وعن أبيه .. عن ذلك الأب الذي زعم أنه كان قاضياً نزيهاً عف اليد .. وتحدث عن طفولته البائسة وما لقي من عنث وشقاء عقب موت أبيه .. ثم تحدث عن متاعبه الحالية وكيف تلح عليه حاجات الدنيا وترهقه مطالبها .. وهو صامد يجادل الفاقة في غير وهن أو ضعف .

وتحدثت "جرفيز" عن أيام الشباب الخالية . وعن زواجها .. ثم تحدثت عن "راوفورد" وما طبع عليه من السخاء وطيبة القلب وكرم النفس . وأخيراً تحدثت عن المائة مليون التي ورثتها ، وعن العقبات التي لا تزال قائمة في طريقها تحول دونها والاستمتاع بهذه الثروة الضخمة وكيف قسرتها الظروف الملحة على الاقتراض بقوائد كبيرة . ثم تحدثت عن ذلك النزاع المستحکم بينها وبين أبناء أخي "راوفورد" وعن شروط الوصية وعن الحراسة القضائية المفروضة على السندات . وقصارى القول : إنها أفضت إلى "كوبين" بتفاصيل القصة كلها ، ما يعلم منها وما يجهل .

واختتمت المرأة المسكينة حديثها بأن قالت في لهجة مؤثرة :

- تصور يا مسيو "فيلمونت" أن السندات والأسهم موجودة كلها

هنا .. في الغرفة المجاورة .. في مكتب زوجي . ! ولكن لو أننا اقتطعنا منها كوبوناً واحداً وقبضنا قيمته من البنك لفقدنا كل شيء . ! كل شيء . ! يا إلهي . ! خزانتنا عامرة بالأوراق المالية ومع ذلك لا نستطيع أن نلمسها أو نعد إليها يدأ . ! ليست هذه الحالة نكبة لا تطاق . !

وغمغم "كوبين" يقول :

- إذن فالسندات هنا ؟

فاجابت المرأة بقولها :

- نعم هنا . ! وهذا هو الشيء الذي يحزنني . ! لو كانت بعيدة عن متناول أيدينا لكان الأمر أخف وأهون .. أماننا ، وتحت بصرنا ، ومع ذلك لا نملك أن نمسها . ! يا لها من نكبة . !
امن 'كوبين' على قولها .. إنها حقاً نكبة جسيمة ان تكون السندات هنا .. في متناول يده هو . ! ومع ذلك لا يملك ان يمسه ، او يسرقها . !

وتدرج الحديث وتشعب ..

وعلى الأسئلة التي القيت في لباقة وكياسة اعترف 'كوبين' بما هو عليه من رقة الحال والحاجة إلى العمل بعد ان ارهقته البطالة ، وارتسمت امارات التآثر على وجه الزوجين .. ولم يتردد 'امبرت' في ان يعرض على 'كوبين' ان يتخذة سكرتيراً له لقاء مرتب شهري قدره مائة وخمسون فرنكاً . ! وابدى 'كوبين' ابتهاجه بهذا المنصب الذي سينتشله مما يعاني من الفاقة والفقر .

وقال 'امبرت' :

- ولا حاجة تدعوك إلى الإقامة معنا ! فلك ان تظل مقيماً في مسكنك ، ولكننا سنفرد لك غرفة في الطابق الثاني لتكون مكتباً لك .

وابتهج 'كوبين' بذلك ، واختار غرفة لنفسه ، ولكنه حرص على ان تكون غرفته واقعة فوق مكتب 'لادوفيك' .

لم يكن 'ارسين كوبين' في حاجة إلى وقت طويل كي يترك انه يتناول مرتباً دون ان يزاول عملاً .. ! وبان مركز السكرتارية الذي يتولاه ادنى ما يكون إلى البطالة .. ! لقد مر به شهران لم يعهد إليه مخدمه في خلالها إلا بكتابة اربع رسائل .. ! ولم يستدعه إلى مكتبه إلا مرة واحدة .. !

ولم يغب عن 'كوبين' ان مسيو 'امبرت' لم يدعه ولا مرة واحدة إلى المناب او الحفلات الساهرة التي يقيمها .. ولم يغضبه الأمر او يهيج ثقته ، بل لقد كان في الواقع راضياً مرتاحاً إذ كان يؤثر هذا الانزواء عن الناس .. كان يفضل ان يلبث متوارياً في الظلام ، يعمل ويدبر .

نون ان يراه احد او يفسد عليه خطته فضولي يتدخل .

ولم يضيع 'كوبين' دقيقة واحدة عيباً .. لقد حرص منذ اللحظة الأولى على ان يعمل وعلى ان يستغل كل ساعة يمضيها في القصر .. لقد زار مكتب مسيو 'امبرت' زيارات خفيفة مختلصة ، والقى على الخزائنة نظرات فاحصة ..

وكانت الخزائنة مصنوعة من الفولاذ على طراز حديث يستعصي على ما بلغ إليه فن اللصوية من وسائل بارعة لاغتصاب الخزائن . فلو ان ابرع المقتصبين اراد فتحها لاستحال عليه الأمر ولا يترك خبيثه فور نظرة يلقيا عليها .

وقال 'كوبين' في نفسه : - اني اعلم اني لن اقصر نون اغتصابها . ولكن لابد لي من ساعة او ساعتين . فكيف نتاح لي هذه الفرصة ومخدع الزوجين ملاصق لغرفة المكتب ؟ إن أقل حركة او جلبة كفيلة بتتبييهما من النوم .. !

ثم همز كتفيه في غير مبالاة واخذ يناجي نفسه : ولكن حيث يخفق العنف ينتصر الدهاء .. ! وحسبي لكي اظفر ان اظل يقظاً مرهف الانبين لا تغفل لي عين .. !

وشرع 'كوبين' في العمل .

اتى بانبوية معدنية انفضها من ثغرة احدتها في ارضية غرفته . ومدها في خفاء حتى بلغت سقف مكتب لا دوفيك .. ! وبواسطة هذه الانبوية استطاع ان يحقق ما يبغي : منها يسمع وبها يرى .. وبذلك ظل مرهف الانبين لا تغفل له عين .. !

وهكذا امضى 'كوبين' نهاره منبسطاً على الأرض في غرفته : عينه تارة على فوهة الانبوية . واذنه تارة اخرى . وكم من مرة رأى الزوجين إزاء الخزائنة يخرجان منها رزماً من السندات والأسهم يقلبانها بين أيديهما ويطلان إليها النظر . ثم يردانها مكانها وهما يتنهدان حسرة وأسفاً .. !

وحين راهما يفتحان الخزائنة حاول ان يعد (تكات) الأرقام وهي تدور عليه يستطيع بذلك ان يهتدي إلى كلمة السر .. ولقد حرص على ان يصغي إلى ما يدور بينهما من حديث . كما حرص على مراقبة

حركاتهما ..

ترى أين يخبئان المفتاح ؟ ..

وفي ذات يوم رأهما يفتان غرفة المكتب دون أن يغلقا الخزانة .
فانطلق من فوره يهبط السلم وثبا . ودخل المكتب في غير تردد ولكنه
الفاهما قد رجعا .. !

جمع كويين مكانه وقال معتبرا :

- أوه .. إنني أسف .. لقد أخطأت الغرفة .. !

وهم بان يعود أدراجه . ولكن "جرفيز" تعلقت بذراعه وجذبتة إلى
الداخل وهي تقول :

- ادخل يا مسيو "فيلومنت" .. ادخل .. إنك عندما أعز من الأهل ..

فضلا عن أننا في حاجة إلى مشورتك : أيهما تنصحنا أن نبيع :
سندات (فور) أم سندات (رينت) ؟ ..

فبانث الدهشة في وجه كويين وقال في لهجة تنم على الاستغراب :
- وشروط الوصية .. ؟

- إنها لا تتناول جميع ما لدينا من سندات . إن لنا الحق في أن
نتصرف في بعضها .

وفتحت "جرفيز" باب الخزانة .. وأخذت عين كويين مشهدا لا
ينسى .. كانت الرفوف مكتظة بحلقات مشدودة بسبور من الجلد ..

وكان يعرف أن هذه الملفات .. محشوة بالسندات والأسهم .. !
تناولت "جرفيز" أحد الملفات وهمت بان تفتحه . ولكن

زوجها اعترضها بقوله :

- إن من الحماقة يا "جرفيز" أن نبيع سندات (فور) وهي آخذة في
الصعود . على حين أن سندات (رينت) قبلت من الصعود غايتها .

فلا رجاء لها بعد في صعود جديد .
ثم تحول فجأة إلى كويين وقال :

- وما رأيك أنت في هذا يا صديقي العزيز . ؟
ولكن لم يكن للصديق العزيز رأي يبديه . غير أنه أشار ببيع
سندات (رينت) . فرددت "جرفيز" الملف مكانه وتناولت سواء وانترزعت

منه سندا قدمته إلى زوجها فدمه في جيبيه .

وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه اصطحب "أمبرت" سكرتيره "كويين"
ومضى إلى أحد السماسرة فباعه السند وتلقى ثمنا له : ستة وأربعين
الفا من الفرينكات .

وعلى الرغم مما يلقي كويين في هذا البيت من ترحيب .. وعلى
الرغم مما أكدته له "جرفيز" أكثر من مرة أنه عندها وعند زوجها أعز من

الأهل ، على الرغم من ذلك لم يرغب عن كويين غرابية .. مركزه في هذه
الدار . وفي كثير من الأحيان تخالجه الدهشة العميقة مما يرى

ويسمع .. فقد لاحظ مثلا أن الخدم يجهلون اسمه جهلا تاما مكتفين
بتلقيه بالسيد ، وكذلك "لادوفيك" نفسه . فهو لا يفقا يقول : هل جاء

السيد ؟ .. هل للسيد كذا وكذا ... هل خرج السيد ؟ ..
فهو دائما عند الجميع السيد ، ولا شيء غير السيد .. ! فلم هذه

التعمية ؟ .. ولأي غرض هذا الإبهام ؟ ..
على أن الشيء الذي أثار دهشته أكثر من أي شيء آخر إنما هو

النفور الذي بدا من "أمبرت" وزوجته نحوه بعد انقضاء الأيام الأولى ..
ففي أول عهده بالدار كانا يرحبان به ترحيبا شديدا ولا ينفكان

يحيطانه بأسباب التحية والاهتمام . وعلى حين فجأة كفا عن هذا
السلوك وفترت حماستهما . حقيقة ، إنهما لبثا يعاملانه بما ينبغي

من التحية والاحترام الواجبين نحو الرجل الذي أنقذ حياة الزوج .
ولكنهما لم يعودا يحفلان به كأنما نسيا أنه موجود في الدار . !

ولقد خيل إلى كويين من انصرافهما عنه أنهم يعتقدان فيه شذوذ
الطبع وجفوة الخلق والميل إلى العزلة والاعتكاف . فاحترما رغبته في

الانفراد بنفسه وأبيا أن يزعجا وحدته .
واتفق مرة وهو يعبر البهو أن رأى "جرفيز" ترمي ببصرها إليه

وسمعها تقول لرجلين يجالسانها :
- إنه خجول يؤثر العزلة .. !

وقال كويين في نفسه : - نعم .. إنني خجول .. !
ولم تغضبه هذه العزلة لأنها ادعى إلى تحقيق أغراضه حتى لا

يفسد عليه فضولي خططه ولم يعد يفكر في "أمبرت" وزوجته وغرابية
أطوارهما .

ولم يعد يسأل نفسه عن البواعث التي حفزتهما إلى نسبة الخجل إليه ..

لم يرهق ذهنه بالتفكير في هذه الصغائر وأولى به أن يصرف تفكيره كله إلى الملايين المنشودة . ١

كانت خطته ترمي في أول الأمر إلى الركون إلى المصادفات أو ما قد تقع فيه "جرفيز" من الإهمال . على أنه ما لبث أن أدرك أن خطة هذا عمادها لا يمكن أن تسفر عن تحقيق الغاية المنشودة . وإن حققها فلن يكون ذلك إلا بعد أمد طويل . وقد عيل صبره ولم يعد في طاقته أن يترث أكثر مما ترث . وهذه "جرفيز" حريصة على مفتاح الخزانة لا تتخلى عنه لحظة ولا تنسأ مرة على المنضدة . وما اتفق يوما أن تترك الخزانة مفتوحة على مصراعها ليعترف منها "كوبين" ما شاء . واستحثه إلى التعجيل تطور جديد طرا على المسألة فقد أخذت بعض الصحف تحمل على "أمبرت" وزوجته حملة شعواء وترميها بالنصب والاحتيال والخداع . ومضت تؤكد أن الزوجين ينصبان أحبولة لخداع المقرضين والمرابين وأن السندات المزعومة لا وجود لها . والأوصية هناك تحرم على الزوجين التصرف في السندات . وكل ما في الأمر أن هذه الأقصوصة خدعة يتوسل بها الزوجان إلى اقتراض المال على حساب السندات الموهومة .. ولما اشتدت الحملة وتضاعفت وطأتها رأى "كوبين" أن يعجل بالعمل لأنه إن ترث فقد كل شيء .

ولقد كان من عادة "كوبين" أن يغادر الدار في الساعة السادسة من مساء كل يوم . ولكنه رغبة في الإسراع في العمل لزم المنزل خمسة أيام كاملة . فيزعم للزوجين أنه ماض إلى داره ولكنه بدلا من هذا يتسلل إلى الغرفة المخصصة له وينبطح على الأرض وعينه على فوهة الأنبوية يرقب ما يجري في مكتب "أمبرت" . والزوجان لا يعلمان أنه موجود .

وفي اليوم السادس وقد قنط من النجاح غادر المنزل عند منتصف الليل من الباب الخلفي .

ولما حل اليوم السابع علم أن الزوجين - اتقاء للحملات العنيفة

الموجهة ضدهما - وعدا بان يفتحا الخزانة أمام رجال الصحف والمرابين ليثبتا حسن نيتهما . وإن الحملة القائمة ضدهما حملة مغرضة أثيمة .

وقال "كوبين" في نفسه : - إن لم أنجح الليلة فلا رجاء لي بعد الليلة في النجاح . ١

وفي ذلك المساء بعد أن فرغ الزوجان من تناول الطعام مضيا إلى غرفة المكتب وأخرجا كتبا من الخزانة وأخذوا يقلبان صحائفها . ومرت ساعة . وتلتها ساعة أخرى .

وسمع "كوبين" وقع اقدام الخدم وهم ياءون إلى مخادعهم .. الآن خلا الطابق الأول ممن فيه ودقت الساعة إيذانا بانتصاف الليل . ومع هذا كان الزوجان لا يزالان في غرفة المكتب منهمكين في العمل .

وتتمت "كوبين" يحدث نفسه : - الآن .. حانت ساعة العمل !

وفتح نافذة غرفته . ونافذة الغرفة تشرف على الفناء وكان الليل ساكنا والظلمة سائدة شاملة وقد تلبدت السماء بغيوم حجبت النجوم فلم يعد هناك بصيص من الضوء يبدر الظلمات الدامسة .

وأخرج "كوبين" من دولابه جبلا انتشرت على طوله العقد . فشدته إلى سياج الشرفة . ثم تخطى السياج وأخذ يهبط فوق الحبل في رفق وأناة حتى بلغ النافذة الواقعة تحت نافذته . ولم تكن بطبيعة الحال إلا نافذة المكتب وقد اسدلت الستائر فوقها .

جمد "كوبين" عند النافذة كأنه تمثال من الحجر وأرهف أذنيه للسمع . كان السكون شاملا .. فسرى الاطمئنان إلى قلبه . وضغط في رفق مصراع النافذة . ولم يكن لديه شك في أن النافذة ستفتتح مستجيبة إلى الضغط فقد حرص في أثناء النهار على أن يسد الثقب الذي «يبيت» فيه لسان المزلاج حتى لا يتعذر عليه فتحها حين يشاء .

استجابت النافذة للضغط .. وفي حرص وحنر أخذ يواربها على مهل . وحين تسنى له أن ينفذ رأسه بين المصراعين كف عن فتحها ..

وانبعث من بين فرجتي الستار بصيص من الضوء .. ورأى "جرفيز" و"أمبرت" جالسين إلى جوار الخزانة .

وكان الزوجان منهمكين في عملهما لا يلتفتان إلى ما يدور حولهما .

ولا يتبادلان من الكلام إلا ما ندر . وقاس كوبيين المسافة التي تفصل بينه وبينهما . وقدر في ذهنه الوقت الذي يكفيه للالتقاط عليهما وصرعهما قبل أن يصرخا مستنجدين .

وحين تهيا للوثوب عليهما سمع جريفين تقول :

- لقد انهكني التعب وثقلت اجفاني فلا بد لي من أن أوي إلى فراشي فماذا تنوي أنت أن تفعل ؟

- ينبغي أن أفرغ من العمل أولاً .

- تفرغ ! إنك إذن لن تفرغ قبل أن تشرق الشمس . !

- لا اظن أن الأمر سيستغرق مني أكثر من ساعة .

وغادرت جريفين الغرفة .

وتتابعت الدقائق حتى انتظمت الثلاثين .

ودفع كوبيين النافذة قليلا . واهتزت الستائر .

وأدار لادوفيك رأسه .. وحين رأى هبات الريح تهب الستار نهض ليغلق النافذة .

ولم تنطلق من فمه صرخة واحدة .. لا ولم يقع شيء من النضال .. بضربات فنية دعامتها الدراسة العلمية صرع كوبيين لادوفيك .. ولكن دون أن يسبب له اذى أو يصيبه بجرح .. ثم لف رأسه في الستار وأوثق قياده فاستحال عليه بذلك أن يصرخ مستنجداً أو أن يتبين وجه المعتدي .

ثم مضى مسرعاً إلى الخزانة فانتزع منها ملفين تابطهما . وفي هدوء غادر المكتب وعبر البهو وهبط الدرج واجتاز الغناء . ثم خرج إلى الطريق من الباب الخلفي .

وفي الطريق .. كانت هناك مركبة في انتظاره .

والقى كوبيين إلى الحوذي بالملفين وهو يقول .

- إليك هذين أولاً . ثم اتبعني .

وتسلل الرجلان إلى المكتب ثانية . وترددا بين المكتب .. والمركبة ثلاث مرات .. وفي هذه الرحلات استطاعا أن يجهزا على محتويات الخزانة وينقلا ما فيها إلى المركبة .

ثم صعد كوبيين إلى غرفته فطوى الحبل وحمل معه كل اثر يمكن أن

ينم عن شخصية السارق .

أخيراً .. تم له النصر .. وانتقلت ملايين امبريت إلى حوزة أرسين كوبيين . !

بعد بضع ساعات من وقوع السرقة اخذ كوبيين ومساعدته يفرغان محتويات الملفات .

ولم يستشعر كوبيين شيئاً من الياس والقنوط . حقيقة . إن ثروة امبريت لم تبلغ ما كان مرجواً . ولم ترتفع إلى الرقم الذي رددته الشائعات ولكنها كانت ثروة محترمة على أي الأحوال . لم تكن مائة مليون فورك . لا ولم تكن عشرة .. ولكنها مع هذا كانت ثروة تستحق ما بذل في سبيلها من جهد ووقت . وكانت دعامتها سندات مضمونة من الطراز الأول ..

سندات قروض المجالس البلدية . وسندات دين الحكومة . وسندات المناجم الشمالية . وسندات السكك الحديدية .. الخ .

وغمغم كوبيين يقول :

- إنني مغتبط بما أصبت .. ! إنني مغتبط بما أصبت . لست أنكر أن هناك سندات .. شخصية لن استطيع بيعها . ولست أنكر أن السندات التي لحاملها ستباع بثمن بخس .. ولكني مع ذلك مغتبط راض .. إن مئات الألوف التي سائظف بها يمكن أن تكون بداية طيبة اتخذ منها دعاية لمشروعاتي المستقبلية . !

- وبقية السندات والأوراق ؟

- أحرقها يا بني .. أحرقها فلا نفع لها لدينا .. أما السندات التي

لحاملها فساحتفظ بها حتى تحين الساعة الملائمة لبيعها . !

وفي الصباح لم ير كوبيين ما يحول دون ذهابه إلى بيت امبريت كالمالوف .

لن تتطرق الشبهات إليه ولن يرتاب أحد في امره .

ولكن الصحف طالعتة بنبا عجيب لم يكن يتوقعه . لقد هرب امبريت وزوجته . وفتح الخزانة في احترام وخشوع .. وتولى فتحها أحد القضاة منتدبا من قبل المقرضين .. ولكنها وجدت فارغة . ! لم يترك

فيها 'أرسين لويين' إلا سندات 'متناثرة' لا قيمة لها . :

* * *

تلك هي الوقائع الثابتة المتعلقة بملايين 'أمبرت' .
ولقد قص 'لويين' بنفسه هذه التفاصيل على صديقه 'روبير' المحامي
في مساء أحد الأيام وهو يذرع مكتبه جيئة ونهايا وعيناه تلتصمان
على شكل لم يعهده 'روبير' من قبل .

وقال المحامي الشاب :

- إذن فقد ظفرت بصفقة عظيمة . !

فابتسم 'لويين' وقال :

- لا يزال في هذا الحادث يا صديقي أسرار مستغلقة غامضة لا سبيل
إلى استكناه معمياتها . وعلى الرغم من الإيضاحات التي زودتك بها
فإن الغموض يكتنف هذه المسألة . فمثلا : ما البواعث التي حفزت
'أمبرت' وزوجته إلى الفرار ؟ لماذا لم يستغلا سطوي على الخزانة
لمصلحتهما ؟ لقد أسديت إليهما بهذا السطو خدمة جليلة كان ينبغي
أن يستفيدا منها .. وما كان أيسر أن يقولوا للناس وللمرابين : « لقد
كانت الملايين هنا .. مودعة في هذه الخزانة أما الآن فهي ليست هنا
لأنها سرقت ! » ولو أنهما قالوا هذا لأمن الناس بما يقولان .

فقال المحامي مفسراً :

- لعلهما فقدا الصواب فتصرفا تصرف الحمقى .. !

- هذا صحيح .. نعم .. لقد أضاع صوابهما فلم يعودا يديران ما
يصنعان . ومع ذلك فإن للمسألة تعليلا آخر .

- أي تعلييل ؟ ..

فابتسم 'لويين' ولم يزد على أن قال :

- لا شيء .. لا شيء .. !

ولم يغب عن المحامي 'روبير' أن صديقه 'لويين' لم يطلع على أسرار
الملايين كلها وإنما كشف له بعضها وكتم البعض . فلم هذا التكتم ؟
ولم هذا الإبهام ؟

ولم يكن 'روبير' بالذي يجهل أن الإلحاح لن يفيد شينا وما دام
'لويين' قد أثار الكتمان فلن يفلح « مهما الحف في الرجاء » في أن ينتزع
منه ما يريد أن يطوي . على أنه لم يقنط من الوصول إلى الحقيقة
المستورة وراح يلقي على صاحبه طائفة من الأسئلة عليه يستطيع بها
أن يثير في صاحبه رغبة في الكلام فقال :

- ألم تلتق بالزوجين بعد ذلك ؟

- نعم لم التق بهما بعد ذلك .

- ألم يحدث في يوم من الأيام أن خالجتك .. شعور من العطف على

هذين البائسين المنكوبين ؟

فهتف 'لويين' في لهجة تدل على الانفعال :

- انا .. !

وأدهش انفعاله المحامي 'روبير' .. فهل تراه قد أصاب الهدف ؟
أترأه عرف كيف يثير من 'لويين' مواضع الاهتمام ؟

قال 'روبير' :

- بالتأكيد . إذ لولا تدخلك لما اضطرا إلى الفرار . أو لهريا
وجيويهما محشوة بالمال .

- إذن فانت تتوقع مني أن يخالجنني الندم ؟ اليس كذلك ؟

- بلى .. يمكنك أن تقول هذا .

فضرب المكتب بقبضة يده في عنف وقال :

- إذن فانت ترى أنه كان ينبغي أن اندم . !

- يمكنك أن تسميه ندما أو أسفا ، أو شعورا من هذا القبيل . !

- وهل يستحق هذان الشقيان شعورا من هذا القبيل ؟

- لا تنس أنك سلبت هذين البائسين ثروة كبيرة ..

- أية ثروة .. ؟

- بالتأكيد السندات التي سرقتها من الخزانة ..

- سندات .. ! السندات التي سرقتها من الخزانة .. ! إذن فقد سرقت

أنا السندات من خزانتها .. ! حصتها من الإرث .. أهذا ما تعتقد

الذي يؤثر العزلة ..! هذا الشاب إنما هو 'أندرو راوفورد' ..!
هكذا أخذوا يزعمان للمرابين والمقرضين ..! وحين عبرت البهو
وسمعت 'جرفيز' تقول : إنني خجول مولع بالاعتكاف إنما كانت
تتحدث عني بصفتي 'راوفورد' ..! وكانت تتحدث إلى اثنين من
المرابين .. وأمام هذا الانعاء اطمأن المرابون ... واطمأنت البنوك ..
واطمأن المقرضون أن 'راوفورد' يقيم معهما في بيت واحد ... إذن فقد
أن للنزاع أن ينتهي .

إذن فقد بنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في
السندات الحبيسة

إذن فقد بنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في
السندات الحبيسة ..! عند هذا اطمأن المقرضون وسخت أيديهم من
جديد وراحوا يقرضون 'أمبرت' وزوجته ... وكل هذا باسمي ..! كل
هذا ظنا منهم أنني حقيقة 'راوفورد' وأن الصلح تم بيني وبين 'أمبرت'
وزوجته ..! وكل هذا وأنا غافل لا أدري شيئا عن الشباك التي تحاك
حولي ..! 'أرسين لوبين' الذي ينصب الفخاخ ويوقع فيها أذى الناس
قد وقع بدوره في فخ تصبه له غيبان لا يفهمان .. إنه درس لن ينسى!
ثم أمسك بفتة عن الكلام . وأخذ بنزاع صديقه وارتسمت على
شفتيه ابتسامة خفيفة .. ابتسامة هي مزيج من الأمل والسخرية .
وقال :

- هل تعلم يا صديقي أن 'جرفيز أمبرت' مدينة لي الآن بمائتي
فرنك؟

وما سمع 'روبير' هذه الجملة حتى انفجر يضحك ... لم يستطع أن
يجبس الضحكات أمام هذا الموقف العجيب ..!

ولم يغضب 'لوبين' وإنما أخذ يضحك بدوره وقال :

- نعم .. إنها مدينة لي بمائتي فرنك .! لم تكتف اللعينة بعدم
إعطائي مرتبي وإنما اقترضت مني مائتي فرنك .! نكتة جميلة .!!
جاء 'لوبين' يسرق فسرق ..! جاء يخدع فخدع ..! جاء ينصب ويحتال

أني فعلت ..! هذه جريمتي في رأيك ..! يا إلهي ..! ألم تترك بعد يا
صديقي أن هذه السندات كانت مزورة ..! اسمعت ما أقول ..! هذه
السندات كانت مزورة .. مقلدة ..! مزيفة ..!!

فأرسل 'روبير' إلى صديقه 'لوبين' نظرة تنطوي على النهش وقال :
- ماذا تقول ؟! أكانت هذه الملايين مزورة ؟!
فصاح 'لوبين' في غضب :

- نعم مزورة ..! كلها مزورة ..! كلها مزورة .. سندات دين الحكومة
.. سندات قروض المجالس البلدية .. سندات السكك الحديدية .. كلها
مزورة .. كلها لا تساوي ثمن الورق الذي طبعت عليه .. كلها لا تساوي
فرنكا واحدا ..! نعم .. لا تساوي فرنكا واحدا ..! لقد خدعني
اللصان ..! لسان حقيران وضيعان يخدعان 'أرسين لوبين' العظيم ..!
وقد اتخذت كما ينخدع أي مغفل لا يفهم ..!

وأخذ بنه يهتز ويرتعد غضبا وقد نمت نظراته عن الانفعال
الشديد .. كان نائرا مهتاجا .. من أجل كرامته المهترئة !

- لقد خدعاني يا صديقي من البداية حتى النهاية ..! نعم .. من
البداية حتى النهاية اتخذنا مني العوبة يلهوان بها ويسخران منها ..!
لقد اتخذنا مني جسراً يصلان بواسطته إلى تحقيق أغراضهما .. ألم
تترك بعد أي دور أبيت في هذا الحادث ..! لقد زعم الشقيان أنني
'أندرو راوفورد' .! نعم .. يا صديقي . وقد وقعت في الفخ المنصوب ..
ولم تنكشف لي الحقيقة دون شك إلا بعد فرارهما حين اطلعت على
الصحف .

كنت اعتقد أنني أنزل في دارهما بصفتي منقذ الزوج من الاعتداء
الذي وقع على حياته ..! والواقع أنهما مضيا يذيعان
أنني 'راوفورد' ..! ليست خدعة بديعة ..! والواقع أنهما مضيا
يذيعان أنني 'راوفورد' ..! أنا الوريث الثاني الذي ينازعهما الإرث
ويُنثر العقبات في سبيل استيلائهما على السندات وتصرفهما
فيها ..! هذا الشاب المقيم في الطابق الثاني .. هذا الشاب الخجول

الفصل الثاني

اللغز

أخذ المحامي "روبير" يستعيد إلى ذاكرته حادث الخدعة الكبرى التي جازت على "لوبين"، وكيف استطاع "أمبرت" وزوجته أن يخدعاه ويسلباه مائتي فرنك وهو الرجل الذي قضى حياته كلها يسلب الناس أموالهم ..!

وتناول "روبير" مذكراته فدون فيها تفاصيل هذا الحادث العجيب وعقب عليها بقوله:

«وما كنت لأصدق ما وقع وما كنت لأومن بحرف واحد مما سمعت لولا أن "لوبين" نفسه هو الذي روى لي تفاصيل هذا الحادث إذ عهدي به يمتاز بذكاء خارق يسمو حتى يبلغ درجة المعجزة. وفي هذا دليل على أن الذهن البشري يركد في بعض الأحيان وتأخذه فترة يقصر فيها دون العمل.»

ولقد دونت مذكراتي من قبل بعض وقائع "لوبين" التي أبدى فيها من سرعة البديهة وحدة الذكاء وتوقد الذهن ما أدهش المطلعين وأنهلهم. وهانذا أسجل الواقعة جديدة هي في ذاتها لغز معقد لا سبيل إلى جلاء غوامضه وإزاحة ما يكتنفه من أستار الظلام لولا أن جاء "لوبين" فكتشف عن اللغز حجبه وبدد إبهامه.

كنت في مكتبي ذات يوم فإذا بالباب يفتح وسمعت صوتا يقول:

- تلقيت برقيتك لحضرت. فماذا هناك ..!

وكان المتكلم يرتدي ثيابا داكنة اللون وفوق رأسه قبعة عريضة الحافة. وفي عروة سترته شريط أحمر. أما شاربه فقد وخطه المشيب!

ولولا أنني كنت أترقب قدوم "لوبين" ما بين لحظة وأخرى لاستحال علي أن أتبين صديقي العزيز في هذا الرجل المسن المتداعي الأوصال. وقلت مسروراً:

- ماذا هناك؟ شيء خطير دون شك.. مجرد مصادفة ليس إلا ولما كنت أعلم ولعلك بحل الطلاسم فك المغميات فقد ...

فكان الضحية ..! اضحك معي يا صديقي ..! "لوبين" العظيم .. "لوبين" الذي هزا بـ"جانيمار" .. وعبث بـ"شرلوك هولمز" .. ولعب بـ"بيشو" .. "لوبين" يذهب ضحية رجل وزوجته تنم ملامحهما عن الغباوة ..! تلك أول مرة أسرق فيها .. أول مرة أخدع .. ولكنها الخدعة الكبرى ..! ومحال أن أنساها ..! ولكنها كانت درسا عظيما .. درسا دفعت أجرا له الملايين التي لم أجد لها اثرا .. والمائتي فرنك ..!

فقاطعني 'كوبين' بقوله :

- ويعد ؟ .

- يلوح لي أنك على عجل من أمرك .

- هو ذلك .. إلا إذا بدا لي أن لغزك جدير باهتمامي .. فيها حدثني بما لديك ولا تضيع الوقت في السفساف .

- حسناً .. وسابداً بأن اطلب إليك أن تلقي نظرة على هذه الصورة التي ابتعتها منذ أسبوع أو أسبوعين من حانوت عتيق لبيع التحف والعاديات القديمة، والصورة كما ترى حقيرة لا تستحق شيئاً من الاحتفال ولكنني ابتعتها لأجل إطارها الذي يرجع تاريخه إلى عهد الإمبراطورية وما فيه من نقوش جميلة تسترعي الأبصار .

فلما فرغ 'كوبين' من فحص الصورة قال مؤمناً :

- إنها كما تقول صورة حقيرة تافهة . ولكن موضوعها طريف جميل .. انظر إلى .. ركن الغناء .. والعمد الإغريقية .. والمزولة الشمسية والبحيرة الصغيرة .. والمقاعد الحجرية .. والدرج الرخامي .. وهذه الخرائب المتناثرة .. كل هذا فائن ساحر .. ولو أن ريشة مصور عبقرى هي التي جرت بهذا المنظر لكان تحفة نادرة !

فقلت :

- مهما يكن من أمر الصورة ، فإنها لم تنزع من إطارها الإمبراطوري وفضلاً عن ذلك فهي مؤرخة .. انظر إلى الركن الأيسر السفلي .. هذه الأرقام الحمراء .. إنها ١٥ - ٤ - ٢ أي ما معناه ١٥ أبريل سنة ١٨٠٢ .. - معقول .. معقول .. ولكنك أشرت في حديثك إلى المصادفات . فإين هي هذه المصادفات التي تتحدث عنها ؟

فذهبت إلى ركن الغرفة وأتيت بتلسكوب ثبته على مقربة من النافذة وسددت منظاره إلى نافذة مفتوحة في تلك الغرفة الصغيرة المقابلة لمكتبتي هي تقع في الناحية الأخرى من الطريق .. وطلبت إلى 'كوبين' أن ينظر من خلاله .

نقدم 'كوبين' من المنظار والصق عينه بفوهته .

وكانت أشعة الشمس ترسل فيضاً من نورها إلى الغرفة المقابلة يكشف منها خباياها . ويبيدي للعين اثائها العادي المؤلف من بضعة

مقاعد وفراشين أحدهما كبير والثاني لطفل .

وهتف 'كوبين' فجأة يقول :

- أه نفس الصورة ! .

- نعم نفس الصورة ! .. ونفس التاريخ .. هل استطعت أن تقرأ التاريخ المكتوب باللون الأحمر . ١٥ - ٤ - ٢

- نعم قرأته .. ومن الذي يقطن هذه الغرفة ؟

- سيدة .. أو بعبارة أخرى عاملة . لأنها مضطرة إلى العمل في سبيل لقمة العيش .

إنها تشتغل بالتطريز ولا تكاد تصيب من المال ما يقوم باوبها وأود طفلها .

- ما اسمها ؟ .

- 'كوبين' درنمونت . وقد قيل لي : إنها حفيدة أحد القواد الذين ظهروا في الأرياف على عهد الثورة . وقد أرسل إلى المقصلة في زمن الإرهاب .

فقال 'كوبين' :

- نعم .. في نفس الوقت الذي أعدم فيه 'أندريه شنييه' .. ولو أنك درست المذكرات التي كتبها رجال ذلك العهد لعرفت منها أن 'درنمونت' هذا كان من كبار الأغنياء .

ثم رفع عينه عن المنظار وقال :

- إنها حكاية مسلية لذيدة .. ولماذا كتمت عني الأمر حتى اليوم ؟

فقلت مجيباً :

- لأن اليوم يوافق ١٥ أبريل ! .

- وأي شيء في هذا ؟

- لقد عرفت بالأمس أن ليوم ١٥ أبريل شائناً خطيراً في حياة 'كوبين' درنمونت . بهذا سمعت البواب يتحدث مع نفر من أصحابه .

- هراء ! كلام فارغ ! .

- من عادة هذه المرأة أن تشتغل كل يوم لا تتخلف عن عملها يوماً واحداً . تطهو طعامها بنفسها بمجرد عودتها من عملها . وتنسق

مسكنها وتكنسه . إنها تعيش عيشة منظمة . ولكن إذا ما حل يوم ١٥

كانت عامرة فعلا بشيء من المئونة . ثم انطلقنا صوب الضواحي وعرجنا إلى ميدان النجمة ، ثم أخذنا تسيران في شارع (كليب) متجهين إلى (باسي) .

سار "لويين" في إثر المرأة وهو غارق في الصمت لا ينبس بكلمة واحدة . وكان جليا أن الخواطر قد استغرقتة . وقد سرني أني كنت سببا في شذوذه وإثارة انتباهه وكنت أسمع ما بين وقت وآخر يردد من الكلمات ما تبينت منها أن اللغز لا يزال عنده غامضا مستغلقا .

وعرجت كويز درنمونت إلى اليسار ومشت في شارع "رانوارد" وهو طريق هادئ تقوم على جانبيه بيوت من طراز عتيق قد الحقت بكل منها حديقة صغيرة حتى لكان المرء في قلب الريف . وكان نهر (السين) يجري في محاذاة الطريق ، والأزقة والحواري الضيقة تتفرع من الشارع متجهة إلى النهر .

وانعطفت جارتني إلى إحدى تلك الحواري الضيقة التي تنعدم فيها أقدام السابلة . وكان أول بيت يقع إلى اليمين يشرف على شارع (رانوارد) وتلاه جدار مرتفع تعلوه الأعشاب والنباتات المتسلقة .

وفي منتصف هذا الجدار باب منخفض وقفت عنده كويز درنمونت وفتحته بفتحها بدا ضخما كبير الحجم .
ومال إلى كويين يقول :

- مهما يكن من الأمر . فإن عملها بعيد عن الريب والشبهات لأنها لم تلتفت وراءها مرة واحدة . فلو أنها كانت تعلم أنها مقبلة على عمل أثيري لاسترابت وتلفتت حولها متوجسة .

وما إن فرغ من حديثه حتى سمعنا خلفنا وقع أقدام ، وراينا شحاذين عجوزين - رجلا وامرأة - في ثياب بالية مهلهلة تعلوها القذارة ، وتكاد لكثرة تمزقها وخروقتها تكشف بدينهما . وتابع الشحاذان طريقهما دون أن يلقيا إلينا نظرة واحدة . وأخرج الرجل من جيبه مفتاحا ضخما شبيها بمفتاح جارتني ودسه في القف وإن هي إلا لحظات حتى توارى مع زميلته وراء الباب .

وفجأة بدا في أذاننا دوي سيارة عند رأس الحارة . فجبني كويين

أبريل نكثت كل عاداتها وغايرتها ، فإذا بها تخرج مع ابنتها الصغيرة في الساعة العاشرة صباحا ولا تعودان إلا عند منتصف الليل . ولقد وقع هذا عاما بعد عام ، أعواما كثيرة متصلة . فلا مفر لنا من الاعتراف بأن هناك شيئا غريبا يتصل بهذا التاريخ المدون في ركن الصورة التي لدينا . والذي دون أيضا في ركن صورة أخرى مطابقة تماما للصورة التي معنا .

فقال "لويين" في كلمات بطيئة :

- نعم .. إن الأمر يبدو غريبا . إنك على حق فيما ذهبت إليه .

ثم أضاف يقول :

- ولكن ألم تصارح "كويز درنمونت" أحداً بالمكان الذي تختلف إليه في هذا التاريخ ؟

- نعم لم تصارح أحداً .. فهي امرأة قليلة الكلام ميالة إلى العزلة والاعتكاف . - أموقن أنت من صحة هذه البيانات التي أفضيت بها إلي ؟

- كل اليقين .. وسترى الآن بعينيك مصداق قولي . انظر .

وفتح باب في صدر الغرفة المقابلة دخلت منه طفلة في السابعة أو الثامنة من عمرها وأقبلت على النافذة تطل منها على الطريق . وإن هي إلا لحظات حتى لحقت بها سيدة وسيمة الوجه ترتدي ثيابا سوداء عادية تدل على سلامة النوق وتطالعك ملامحها بالبرقة والوداعة .

وهمست أقول :

- أرايت ؟ إنهما متهيئتان للخروج .

وأخذت الأم بذراع الطفلة وزايلت الغرفة . وتناول كويين قبعته وهو يقول :

- ألا تحب أن ترافقني ؟

وكان الفضول قد اشتد بي وبلغ مني درجة حالت دوني والاعتراض فتناولت قبعتي بدوري وتبعته "لويين" .

ولما خرجنا إلى الطريق رايت جارتني تدخل حانوتا لبيع الخبز فابتاعت رغيفين دستهما في سلة صغيرة تحملها ابنتها ويلوح أنها

من ذراعي وسرنا مسرعين حتى بلغنا ركننا استطعنا أن نتواري فيه
فقرى دون أن يظن إلى وجودنا أحد .

وبعد قليل رأينا فتاة مقبلة من أقصى الحارة وقد ضمت إلى
صدرها كلبا صغيرا . وكانت ترتدي ثيابا انيقة فاخرة وتزين
صدرها .. ومعصمها الحلي والجواهر . وكان شعرها اشقر وعيناها
سوداوين . وما جرى من قبل جرى الآن .. أخرجت من حقيبتها مفتاحا
ضخما دسسته في ثقب الباب . ثم دخلت وأغلقت خلفها .

قال كوبيين وهو يضحك :

- إن الغزير يبشر بما يثير الاهتمام ! وأغلب ظني أنه سيتكشف عن
أعجب العجائب . ! ليت شعري أية صلة تجمع بين هؤلاء القوم
المختلفي الطبقات المتبايني الأشكال ؟ امرأة فقيرة تكذ وتكدح في
سبيل لقمة العيش .. وشحاذاذ يستجديان الناس ما يسد جوعهما ..
وأمرأة متأنقة على حظ من الثراء . !

وبعد ذلك رأينا امرأتين طاعنتين في السن والشبه بينهما شديد
حتى لكانهما أختان ، ومظاهر الفاقة بادية عليهما ، وتلاهما خادم في
ثيابه الرسمية الموشاة . ثم جندي مبتور الساق . ثم رجل بدين الجسم
يرتدي ستره عتيقة ، وأخيرا رأينا أسرة باكملها . الأب والأم وأربعة
أطفال وكانوا جميعا شاحبي الوجوه هزليي الأبدان يتابط كل منهم
سلة صغيرة ملأى بطعامه .

فقلت مغمما :

- كأننا إزاء نزهة !

فابتسم كوبيين وقال :

- إن الأمر يبدو في الواقع مدهشنا كثيرا .. ! ولن يهدأ لي بال حتى
أتبين ما يجري خلف هذا الجدار . !

ولم يكن هناك خفاء في أن تسلق الجدار أدنى إلى الاستحالة
لارتفاعه . ومما يؤسف له أنه لم يكن للمنزليين المجاورين للجدار نوافذ
تطل على الساحة الواقعة وراء الجدار .

وفي خلال الساعة التالية لم يحضر أحد من جديد . ومضيت و
كوبيين نندبر الأمر ونقدح نهنينا بغية أن نتفتحا عن خطة تهييء لنا

سبيلا إلى الدخول . وبعد أن استعرضنا جميع الوسائل لم ير كوبيين
مندوحة من أن يسعى إلى أحد الحوانيت القريبة فيبتاع سلما وقبل
أن ينصرف فتح الباب وبرز منه أحد أطفال العامل الفقير الذي كان
آخر من جاء مع أسرته .

وانطلق الغلام مسرعا صوب شارع (رانوارد) ثم عاد بعد دقائق
يحمل زجاجتين معلوطين بالماء وضعهما على الإفريز ريثما يخرج
المفتاح من جيبه .

وكان كوبيين في خلال هذا قد زابطني وسار في محاذاة الجدار حتى
صار على قيد خطوة من الباب . فلما دخل الغلام وهم بإغلاقه وثب
كوبيين في حركة سريعة فدس نصل مبراته في الثقب الذي يستقر فيه
لسان القفل . فدار جهاز القفل على نفسه ولم يلج اللسان موضعه
المألوف ، ولم يكن أهون إذ ذاك من دفع الباب والدخول .

وقال كوبيين :

- لقد نجحت الخدعة .. !

ودفع كوبيين الباب في حرص وحذر .. ثم لم يلبث أن دخل في جرة
نادرة أنهلنتني . ولكن حين اقتفيت خطواته رايت خلف الجدار وفي
محاذاته تماما سياجا من الأعشاب النامية والشجيرات حجبنا عن
في الداخل فلم يرونا ونحن نقفح عليهم المكان .

وتواري كوبيين وراء الشجيرات . وحدثت حذوه فوقفنا إلى جواره
ثم أزحت الأغصان قليلا حتى يتسنى لي أن أرى ما يجري هناك ولقد
أنهلنتني ما رايت إلى درجة لم أتمالك .. معها نفسي من أن اطلق من
صدري أهة تنطوي على الدهشة والاستغراب . أما كوبيين فتمتم
يقول :

- يا إلهي .. إنه لغز محير ولذيذ .. ! رأينا في الساحة الواقعة خلف
الجدار نفس المنظر الذي رأيناه من قبل في تلك الصورة العتيقة التي
ابتعتها من حانوت التحف والعاديات .. ! نعم .. نفس المنظر .. حتى
لكان الصورة انقلبت مشهدا حيا .. !

على أن الشيء الذي ضاعف من استغرابنا إنما هو ذلك التاريخ
المدون في ركن من الصورة .. يا إلهي .. ! ١٥ أبريل .. ! ما معنى ذلك

وأي سر ينطوي تحت هذا التاريخ .. ؟ واليوم يوافق نفس هذا التاريخ .. ! وهؤلاء المجتمعون .. ! إنهم يختلفون اختلافا بيّنا .. فمنهم الكهل ومنهم الشاب .. ! منهم الثري ومنهم الفقير .. ! منهم المثقف المهذب ومنهم الجاهل الذي لم يتلق من العلم حظا .. ! ومع ذلك جمع بينهم ١٥ أبريل فحفوا جميعا إلى هذا المكان من أركان باريس وأقاصيها .. !

وكان القوم في هذه اللحظة متناثرين على الدرج الرخامي وعلى المقاعد الحجرية وهم منهمكون في تناول الطعام . وعلى مقربة من جارتى وابتقتها رايت أسرة العامل والشحانين ياكلون معا . على حين اجتمع الخادم والرجل البدين والجندي والأختان يتقاسمون معا ما اتوا به من طعام . أما السيدة ذات الكلب - وكانت لم تات معها بشيء من الطعام - فاعتزلت الجمع وجلست في ركن قصي وأولاهها الحاضرون ظهورهم كأنما يرمون إلى إعلان نفورهم منها . وتحولت كوز برنمونت إلى السيدة وقدمت لها قطعة من السندوتش فحذت الأختان حذوها . ولم يلبث الجندي المبتور الساق أن أخذ بدوره يتودد إليها .

وبلغت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر ، فأخرج الشحان غليونه من جيبيه . وكذلك فعل السيد البدين . ولم يكن مع الثاني عود من النقاب فجمعت بينهما الحاجات المشتركة ووقفا يدخان وقد اجتمعت حولهما النساء . وكان جليا أن أفراد هذه الجماعة على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة . ولقد كانوا منا على مسافة غير قصيرة فتعذر علينا أن نسترق السمع لما يدور بينهم من أحاديث ، على أننا ما لبثنا أن ابركنا أن لهجة الحديث أشد وقويت . وكانت صاحبة الكلب أشد القوم حماسة فقد انطلقت تتحدث في لهجة حادة وهي تؤيد كلماتها بإشارات عنيفة من يديها جعلت الكلب ينبج بشدة .

وفجأة تعالت الصرخات وأعقبها صيحات الغضب واندفع الحاضرون جميعا - رجالا ونساء - صوب البئر القائمة في ركن الحديقة . وفي هذه اللحظة كان أحد أبناء العامل قد بدأ يخرج من

البئر وهو مشدود إلى الحبل وإخوته يجذبونه إلى الخارج بإدارة محرك الدلو .

وكان الجندي أسرع الحاضرين حركة فانقض على الفتى وعاونه في ذلك الخادم والرجل البدين إذ أمسكوا جميعا بتلابيبه . على حين وثب الشحانان والأختان على العامل وأفراد أسرته وأخذوا ينهالون عليهم ضربا .

قلت وقد استولت علي حيرة شديدة :

- لا ريب أنهم مجانيين .. !

فهز كويين رأسه وقال :

- ليس في الأمر شيء من الجنون يا صديقي .. !

- ماذا تقول ؟ .. اتعني أن في وسعك أن تقع على تفسير لهذا المشهد العجيب الذي تراه ؟ ..

ولبث كويين صامتا لا يجيب عن سؤالي .

وحملت السيدة كلبها وانطلقت تجري في إثر الغلام ذي القميص المهلهل وهو يجري أمامها مطلقا من صدره صرخات مدوية . ودار الغلام حول الشجيرات التي نخبت في وسطها . ثم ألقى بنفسه بين نراعي أمه .

وكانت كوز برنمونت قد اعتزلت هذا العراك منذ البداية فلما رأت أن الأمر قد اشدت تدخلت واستطاعت أن تهدئ من ثورة الغاضبين فارتدوا إلى مجالسهم ثانية . وإن كانت وجوههم ناطقة بما عراهم من أثر هذه المشاحنة فجلسوا صامتين لا ينبسون بكلمة وقد تجهمت منهم الوجوه .

وأخذت الساعات تتتابع . وأحسست جوعا شديدا ، فمضيت إلى شارع (رانوارد) وابتعت شيئا من الطعام تقاسمته مع كويين ونحن منزويان في مكاننا خلف الشجيرات نرقب هذه المشاهد العجيبة التي تترى تحت أبصارنا .

وكان القوم لا يزالون على صمتهم ووجومهم . وكلما مر الوقت اشتدت بهم الكابة واستفرقتهم الخواطر ولاح كأنما يرهق أنفاسهم ونفوسهم وقر ثقيل .

وانقضت ساعات ما بعد الظهر على هذا النحو . وقد تنازلت السحب في صفحة السماء فارسلت إلى المكان ضوءا خافتا تشويبه الدكنة فاتفق ذلك وما يعلو وجوه القوم من كمد واكتئاب .

وتحولت إلى كويين^١ وقلت له في صوت تخالطه نبرة من السامة :
- أفي نيتهم أن يمضوا الليل في مكانهم هذا ؟

ولكن عندما شارفت الساعة الخامسة مساء أخرج السيد البدين ساعته وجعل ينظر إليها متلهفا . وكذلك فعل الآخرون وأمارات القلق بادية في ثنايا وجوههم كأنما يترقبون وقوع حدث له عندهم شأن عظيم .

ولكن الحدث الذي كانوا يترقبونه لم يقع . ! فبعد ربع الساعة أو ثلثها ردوا ساعاتهم إلى جيوبهم . وبيدت مظاهر اليأس والقنوط على وجه السيد البدين . ثم انبعث واقفا وارتنى قبعته .

وإذ ذاك جئت الإختان وزوجة العامل وأخذن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . أما السيدة صاحبة الكلب فأقبلت على المرأة المستجديبة وجعلت تقبلها وهما تبكيان . على حين أخذت كويين^٢ درنمونت^٣ تضم ابنتها إلى صدرها في توجع وتائر .

وقال كويين^٤ :

- هيا بنا ننصرف .

- اتعتقد انه لم يعد هناك ما يدعونا للبقاء ... ؟

- نعم والوقت لا يكاد يتسع لخروجنا وإلا لفظنوا لوجودنا .

وزايلنا مخبانا دون أن يرانا أحد . وعند رأس الحارة تركني كويين^٥ وبخّل أول منزل في شارع (رانوارد) .

وبعد حديث قصير مع البواب رجعت إلي فاستدعينا إحدى سيارات الأجرة وسمعته يقول للسائق :

- ٣٤ شارع (دي تورين)

ويشغل الطابق الأرضي من المنزل رقم ٣٤ بشارع (دي تورين) مسجل يدعى الأستاذ 'فالاندييه' استقبلنا مرحبا بوجه باش .

وقدم إليه 'كويين' نفسه منتحلا اسم الكابتن 'جينيويت' من رجال الجيش القدماء . وأنباه أنه يرغب في أن يبتني لنفسه بيتا في مكان

هادئ . وأن بعض أصدقائه ذكروا له أن هناك قطعة من الأرض تلامه واقعة في شارع (رانوارد) ويقوم حولها سياج مرتفع من البناء .

فقال الأستاذ 'فالاندييه' :

- ولكن هذه القطعة غير معروضة للبيع .

- حقا ؟ لقد قيل لي إن ..

فقال المسجل مقاطعا :

- أخشى يا سيدي أن تكون المعلومات التي لديك غير صحيحة .

وزايل المحامي مقعده . ففتح دولايا في ركن الغرفة وأخرج منه صورة عرضها علينا . وما وقع بصري عليها حتى أخذتني الدهشة ..

معادلة تماما للصورة التي ابتعتها من حائوث التحف والعابيات . ! ومماثلة للصورة التي رايتها معلقة في غرفة كويين^٦ درنمونت^٧ .

وقال المحامي :

- هذه الصورة تمثل قطعة الأرض التي نحن في صدها . وهي

معروفة باسم 'حظيرة درنمونت' .

- تماما .

استطرت المسجل يقول :

- ولقد كانت هذه الحظيرة فيما مضى شطرا من حديقة كبيرة يملكها الجنرال 'درنمونت' الذي أعدم في عهد الإرهاب . وقد باع الورثة

أصلاكه قطعة بعد قطعة كلما الحت عليهم حاجات الحياة . فلم تبقى إلا هذه الحظيرة واعتقد أنها ستبقى دائما ملكا مشتركا بينهم .. إلا إذا ..

وامسك المسجل عن الحديث وأخذ يضحك . ثم استطرد يقول :

- إنها قصة خيالية ! نعم قصة خيالية شائقة ! ولطالما سلّيت نفسي بتقليب النظر في الوثائق والمستندات المتعلقة بهذا الحادث .

- أليكون فضولا مني أن أسالك شيئا من الشرح والإيضاح ؟

- لا .. لا ..

ولاح على الأستاذ 'فالاندييه' أنه على النقيض .. مبتهج بأن يقع على من ينصت إلى قصته .

وبغير إلحاح منا أو إلحاف أخذ يروي لنا القصة قائلا :

- في مستهل عهد الثورة زعم كويين^٨ اجريبيا درنمونت^٩ أنه ماض

الخدمة الكبرى

إلى جنيف ليلحق بزوجته وابنته 'بولين' . فاعلق منزله في ضاحية (سانت جرمين) وطرد خدمه . ثم رحل مع ابنه 'شارل' . ولكنه لم يسافر إلى جنيف وإنما اقام في (باسي) في المنزل الذي كان يتخذة للهو . ولم يدر بالأمر أحد إلا امرأة عجوز مخلصه كانت تتولى الإشراف على شؤون سيدها .

ولبت كويس درنمونت في مخبئه ثلاث سنوات كاملة وقد أيقن أنه لن يكتشف سره أحد . إلى أن كان يوم - وهو يصيب غفوة بعد الغداء - دخلت عليه الخادمة العجوز مروعة فزعاً . لقد رأت عند رأس الباب شرذمة من الجند يلوح أنهم يقصدون الدار . فهب كويس درنمونت مسرعاً . وفي اللحظة التي طرق فيها الجند الباب كان قد تسلل من الباب المفضي إلى الحديقة وهو يصيح بابنه 'شارل' أن يشغل الجنود بالحديث ولو خمس دقائق . ولعله كان ينوي الفرار عن طريق الحديقة فالقى الشارع المتاخم لها مراقباً محاصراً . ومهما يكن من الأمر فقد رجع بعد ست أو سبع دقائق . وأجاب في هدوء تام عن الأسئلة التي وجهت إليه . ولم يبد شيئاً من المقاومة حين طلب إليه الجنود أن يرافقهم . وقد اعتقل الجند ابنه 'شارل' أيضاً على الرغم من أنه لم يتجاوز الثامنة عشرة .

وقال 'كويين' متسائلاً :

- ومتى كان هذا ؟

- في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل .. يا إلهي .. ! اليوم هو ذكرى اعتقال القائد .. !

وقال كويين :

- مصادفة غريبة ! وبطبيعة الحال ترتبت أمور خطيرة على هذا الاعتقال ؟

- نعم .. فبعد ثلاث أشهر أطاحت المفصلة برأس الجنرال العجوز وصودرت أملاكه كلها . أما ابنه 'شارل' فبقى بين جدران السجون منسياً لا يذكره أحد .

- وهل كانت الأملاك كثيرة ؟

فابتسم المحامي وقال :

- هذا هو السؤال المربك المحير .. ! نعم .. كانت الأملاك كثيرة متشعبة . ومع ذلك لم يدر أحد لها مكاناً واستحال الاهتداء إلى مواقعها . ولقد أتضح أن القائد العجوز باع جميع أملاكه وجواهره وصوره الثمينة قبل الثورة إلى رجل إنجليزي . فابن أمواله إذن ؟ أين الثمن الذي بيعت به هذه الأملاك والمقتنيات ؟ لقد أمرت حكومة الإزهاب بإجراء تحقيق دقيق شامل ولكنه لم يسفر عن شيء . فقال كويين :

- ولكن بقي مع هذا بيت (باسي) ؟

- لقد بيع أيضاً .. وكان الذي اشتراه هو المواطن 'بروكيه' . ! أي نفس الرجل الذي تولى القبض على الجنرال 'درنمونت' . واشتراه بثمن يخس لا يذكر .. وحين صار البيت إلى حوزته انزوى فيه وأغلق على نفسه الأبواب والنوافذ .. فلما اطلق سراح 'شارل درنمونت' وذهب إلى مقابلة المواطن 'بروكيه' بغية استرداد البيت الذي بيع بثمن يجعل الصفقة ادنى إلى الإغتصاب . لقيه 'بروكيه' بإطلاق النار عليه ففاضه الشاب أمام المحاكم . ولكن دعواه رفضت كلها . واستحال عليه استرداد الدار . فلما أدركه اليأس من هذه الناحية حاول أن يسترد البيت بشرائه . من 'بروكيه' فعرض عليه مبالغ ضخمة ولكن بلا جدوى . فقد أصر 'بروكيه' على الاحتفاظ بالبيت . وما كان ليتخلى عنه لولا أن تدخل الإمبراطور 'نابليون' في الأمر . فاضطر إلى الجلاء عن الدار وهو كاره في يوم ١٢ فبراير من عام ١٨٠٣ وقد اشتد الفرح بـ'شارل' بعد أن كابد في سبيل استرداده ما كابد .. توسل بالحسنى فلم يفلح .. وبالمال ولم يفلح .. وبالمقاضاة ولم يفلح .. وأخيراً تم له النصر . ! ولكنه كان نصراً قصيراً .. فحين بلغ الدار .. وقيل أن يتخطى عتبتها طغى عليه الفرح . فاخذ يغني ويرقص ويضحك . ! لقد جن المسكين وأصابه الخبال . ! فقال كويين :

- حقا .. ! وما صار إليه أمره بعد هذا ؟

- تكفلت بأمره الخادمة العجوز التي كانت تشرف على شؤون أبيه . فضعته إليها وأقامت معه في بيت (باسي) . وذلك أن أمه وأخته

'بولين' كانتا قد توفيتا في جنيف .. وأخذت الأعوام تتتابع دون أن يجد أي حادث إلى أن كانت سنة ١٨١٢ فوقع فيها أمر عجيب . وذلك أن الخادمة العجوز اشرفت على الموت فاستدعت شاهدين إلى فراشها وقصت عليهما وهي تحتضر أن القائد الشيخ احضر إلى بيته في (باسي) قبل اعتقاله بأيام قليلة من الحقائق المملوءة بالذهب والفضة ولقد قص عليها الابن 'شارل' أن أباه أخفى الحقائق في الحديقة في مكان خفي بين البئر والمزولة الشمسية والدرج . وتدعيما لقولها آرت الشاهدين ثلاث لوحات رسمها القائد الشيخ بنفسه أثناء اعتقاله واستطاع أن يرسلها سراً إلى الخادمة طالبا منها أن تعطي إحدى هذه اللوحات لزوجته والأخرى لابنته 'بولين' والثالثة لابنه 'شارل' عند الإفراج عنه .. ولكن العجوز و'شارل' كتما الأمر وقد استهوتهما الثروة المنتظرة . فلما جن 'شارل' أخذت العجوز تبحث وحدها عن الكنز فأخطأها التوفيق فلم تر مندوحة من الإفشاء بما تعلم . وهكذا لا يزال الكنز في مخبئه في الحديقة .

فضحك لويين وقال :

- وما زال حتى اليوم بالتأكيد ؟

فقال الأستاذ 'فلاندييه' :

- وسيظل هناك حتى الأبد .. إلا إذا كان المواطن 'بروكيه' قد استطاع أن يهتدي إلى الكنز في أثناء بحثه وتنقيبهِ . إذ لا ريب في أنه شعر بما هنالك وإلا لما اشترى البيت ولما أصر على الاحتفاظ به ولكنني اعتقد أن التوفيق أخطأه أيضا إذ المعروف أنه مات على فقر مدقع .

- وإن ؟

- وإن فقد أخذ الجميع يسعون إلى الكنز . كانت 'بولين' قد رزقت أولادا قبل موتها فجاءوا يبحثون .. وكان 'شارل' قد تزوج سرا ورزق أولادا .. وهكذا تضافر الورثة جميعا على البحث عن الكنز الخفي .

- وما كان من شأن 'شارل' نفسه ؟

- لزم غرفته لا يبرحها ولم يشترك في هذه الأبحاث .

- مطلقا ؟

- تلك في الواقع هي أغرب ناحية من نواحي هذا اللغز .. لزم 'شارل'

غرفته لا يبرحها إلا مرة في كل عام .. يخامر مسكنه كأنما تدفعه قوة خفية لا تزال لها سيطرة على عقله المختل . فيهبط إلى الحديقة ويتخذ نفس الطريق الذي سار فيه أبوه والجند يطرقون الباب على عهد الثورة . ثم يجلس على الدرج بالقرب من الباكية التي تراها في الصورة أو يجلس على حافة البئر . فإذا ما بلغت الساعة الخامسة وسبعا وعشرين دقيقة زایل مجلسه وارادت ثانية إلى مخدعه . ولقد توفي 'شارل' في عام ١٨٢٠ ولكنه لم يتخلف عاما واحدا عن القيام بهذا الدور . أما اليوم الذي اعتاد فيه أن يزایل مخدعه فهو يوم ١٥ أبريل من كل عام ..

نكرى إلقاء القبض عليه . ولما بلغ الأستاذ 'فلاندييه' من قصته إلى هذا الحد كان الإبتسام قد تبدد من وجهه ولم تعد ملامحه تنم عن السخرية والتهكم . ولاح عليه أن تلك القصة العجيبة أثرت في نفسه . وبعد هنيهة من التفكير والتروي قال 'لويين' :

- وما الذي جرى بعد مائة عام انقضت بعد وفاة 'شارل' ؟ ومع ذلك حرص وريثته وورثة 'بولين' ترمنونت على القيام بهذا الفرض المقدس في ١٥ أبريل من كل عام .. ففي اليوم المعهود يجتمعون في الحديقة ويمضون نهارهم فيها ولا يفارقونها إلا بعد الساعة الخامسة مساء .. وفي الأعوام الماضية الأخيرة قاموا بالبحث والتنقيب في الحديقة فلم يدعوا شبرا منها إلا قلبوه رأسا على عقب . ولم يتركوا قطعة من الأرض إلا حفروها .. ولكنهم كفوا الآن عن هذه الأبحاث كأنما أدركهم اليأس وتقطعت بهم أسباب الرجاء فلم يعودوا يحفرون بالأمر . وقنعوا منه كله بأن يتربدوا على الحديقة من حين إلى آخر فيقبلوا حجرا أو يهبطوا إلى أغوار البئر يجوسون خلالها دون أن تحفزهم إلى ذلك أية بارقة من الأمل . فتراهم طيلة النهار جلوسا على المقاعد على الدرج صامتين واجمين لا يتحركون ولا يتكلمون كما كان شأن 'شارل' المخبول .. وإنهم مثله يتربصون وينتظرون .

ينتظرون بلا رجاء ولا جدوى .. وتلك هي الناحية المفجعة في هذا الحادث .. في خلال هذه السنوات المائة تعاقب جيل بعد جيل .. وكانوا جميعا ينتظرون .. واقدم الرجاء الكاذب القنرة على العمل ..

وكيف يعملون وهم يترقبون كنزا يغنيهم مدى الحياة .. ! إنهم ينتظرون .. ينتظرون يوم ١٥ ابريل .. فإذا ما حل اليوم الموعود اجتمعوا في الحديقة كأنما يتوقعون أن تحدث معجزة أو يهبط عليهم ملك من السماء ينبئهم بمكان الكنز . ولقد انتهى بهم الأمر جميعا إلى الفقر المدقع فرأى أسلافي أن يبيعوا البيت ليبتنوا سواء على طراز حديث يدر إيرادا . كما اقتطعوا جزءا من الحديقة . أما هذا الركن (وأشار إلى الصورة) فقد أبى الورثة أن يفرطوا في شبر واحد منه ... لقد اتفقت كلمتهم جميعا على عدم التفريط فيه ! كـويـز درنمونت (وريثة 'بولين') والشحاذان .. والعامل .. والخادم .. وجميع أولئك الذين يمثلون 'شارل' المسكين ..

وساد صمت قصير قطعه 'كويـز' بقوله :

- وما رأيك أنت يا أستاذ 'فالاندييه' ؟ ..

- رأيي أنه كنز موهوم لا اثر له من الحقيقة .. أيمن أن نقيم وزنا لكلمات خادمة عجوز لم تنطق بها إلا وهي على فراش الموت .. اليس المعقول أن تكون كلماتها من قبيل هذيان الاحتضار .. ؟ وإذا فرضنا أن القائد خبا كنوزه في هذه الحديقة فهل من المعقول أن تظل مخفأة حتى اليوم على الرغم من البحث والتنقيب .. ؟ قد يسهل إخفاء ورقة أو وثيقة في هذه الحديقة، أما إخفاء كنوز ضخمة لا يكشفها هذا البحث المتواصل فامر يبق على الأفهام، لذلك اعتقد أن الأمر كله لا أصل له ولا ظل من الحقيقة .

- ولكن ما رأيك في الصور ؟ .

- أه .. بالتأكيد .. ولكن أيمن أن تقوم الصور دليلا حاسما ؟ .

ومال 'كويـز' فوق الصورة هنيهة يفحصها ثم رفع راسه وقال :

- ولكنك أشرت في حديثك إلى ثلاث صور فاين الصورتان الباقيتان ؟

- هذه الصورة أعطاها بعض وريثة 'شارل' إلى سلفي . أما الصورة الثانية فموجودة لدى كويـز درنمونت .

- والصورة الثالثة ؟ .

- لا يعرف أحد مصيرها . !

- اتحمل الصور الثلاث نفس التاريخ ؟ .

- نعم .. و'شارل درنمونت' هو الذي كتبه بنفسه حين أحاط الصور بإطاراتها ، وكان ذلك قبل موته ببضعة أعوام .. نفس التاريخ أي ١٥ - ٢ - ٤

والرقم الأخير معناه العام الثاني من أعوام الثورة أي سنة ١٧٩٤ وهو نفس اليوم الذي اعتقل فيه الجنرال 'درنمونت' وابنه 'شارل' . فقال 'كويـز' :

- أه بالتأكيد .. إن الرقم ٢ معناه ...

ثم أمسك فحاة عن الكلام وغرق هنيهة في التفكير ثم استأنف يقول :

- اتانن لي بأن أوجه إليك سؤالا آخر ؟ . ألم يتقدم أحد لحل هذا

اللغز وفك معمياته ؟ .

فطوح الأستاذ 'فالاندييه' بذراعيه ورفع عينيه إلى السماء وهتف

يقول :

- سألتك الرحمة يا رب .. ! لقد جاء وقت لم يكن لي من عمل إلا أن أزود الناس بشتى البيانات عن هذا الكنز .. ولقد استدعى سلفي الأستاذ 'تيربون' إلى (باسي) أكثر من عشرين مرة فيما بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٤٣ ، استدعاه الورثة الطامعون بعد أن أكد المشعورون والدجالون وقارنو الطوالع أنهم سيهتدون إلى مقر الكنز الخفي . ! ولقد ألح علينا الطامعون وشغلوا أوقاتنا فراينا أن نتوسل إلى التخلص منهم بفرض شرط يقضي بأن يودع كل من يرغب في البحث والتنقيب مبلغا من المال . !

- ما قيمته ؟ .

- ألف فرنك ..

- أكان هذا الشرط كفيلا بإقصائهم وصد التيار ؟ .

- كلا .. فمنذ أربعة أعوام قام منوم مغناطيسي هنغاري بتجربة جديدة .. وأضاع من وقتي الثمين يوما كاملا .. فرايت أن أرفع الضمان المالي إلى خمسة آلاف فرنك .. وفي حالة النجاح للمنتقب الحق في الاستيلاء على ثلث الكنز . أما في حالة الإخفاق فيصانر التامين لمصلحة الورثة .. ومنذ تلك اللحظة لم يزعجني منقب جديد ..

- إليك إذن الخمسة الآلاف فرنك .!

فشهق المحامي دهشة وقال :

- هيه .! ماذا تقول .. ؟

فقال كوبيين وهو يخرج من محفظته خمس ورقات مالية من فئة الآلاف فرنك :

- أقول إليك الخمسة الآلاف فرنك قيمة التامين المطلوب ، فاعطني إيصالاً من فضلك وتكرم بدعوة جميع ورثة 'ترنمونت' لمقابلتي في (باسي) في يوم ١٥ أبريل من العام القادم .

وانكر الأستاذ 'فالاندييه' ، ما سمعت ادناه وقال وهو ينقل بصره بين كوبيين والأوراق المالية .

- أجاد أنت في هذا . ؟

- كل الجد .!

- ولكنني صارحتك برايي .! ليس لهذه الروايات أي سند من الحقيقة . وليس هناك شبه ليليل يدعمها .!

فقال كوبيين في هدوء :

- لست اشاطرك هذا الرأي يا سيدي .!

فرماه المسجل بنظرة من تلك النظرات التي اعتدنا أن نلقبها إلى المخبولين الذين فقدوا القدرة على الحكم على صحة الأشياء ونزولاً على الأمر حرر إيصالاً باستلامه خمسة آلاف فرنك من الكابتن (جينيوت) مع وعد صريح بأن له الحق في الاستيلاء على ثلث ما تتكشف عنه الأبحاث .

وقال الأستاذ 'فالاندييه' :

- إذا عدلت عن رأيك فأخطرني قبل الموعد بأسبوع على الأقل ، فإنني لن أخطر ال 'ترنمونت' بالأمر إلا في تلك اللحظة الأخيرة حتى لا أبعث في نفوسهم أملاً كاذباً يكون لتهدمه رد فعل شديد في نفوسهم .

فابتسم كوبيين وقال :

- لك أن تخطرهم في هذه الساعة بالذات يا استاذ 'فلا ندييه' ، فينذلك سيمضون عاماً سعيداً والرجاء يملأ قلوبهم .!

وصافحن المسجل وخرجنا ، فلما صرنا في الطريق أومات قائلاً

- ماذا دهاك يا صاح . أوفقت إلى أثر يرشدك . ؟

- أنا . ؟ كلا مطلقاً .. وهذا ما يثير اهتمامي .!

- ولكنهم بحثوا ونقبوا مدى مائة عام . فما الذي ترجوه بعد ذلك .. ؟

- إنها مسألة دعامتها التفكير لا البحث والتنقيب .! وإمامي الآن

٣٦٥ يوماً أفكر فيها أكثر بكثير مما احتاج إليه .. غير أنني أخشى أن تشغلني شؤون الدنيا فانسى هذه المسألة ، فأرجو أن تذكرني بها إذا ما أزف الوقت .!

* * *

ولم افتأ أذكر كوبيين' بالكنز مرة بعد مرة في خلال الأشهر التالية وهو لا يبدي شيئاً من الاكتراث .. ثم حل زمن طويل لم أره في خلاله إذ اضطرتة إحدى مغامراته إلى الرحيل إلى (ارمينيا) .

ولكنني كنت في خلال ذلك على اتصال .. مستمر به بالرسائل فاستطعت أن أكاشفه بمعلومات جديدة جمعتها عن جارتني كوبيين 'ترنمونت' إذ علمت أنها أحببت منذ بضعة أعوام شاباً غنياً ولكن أسرته حملته على نبذها والتخلي عنها فانزوت المرأة المسكينه مع طفلتها ودعتها ظروف الحياة إلى العمل اكتساباً للرزق .

ولم يجب كوبيين' على رسائلي بكلمة واحدة . ولست أدري إذا كانت قد وصلت أم لا . وكان اليوم الموعد يدينو ويقترب . وأنا أسائل نفسي في شيء من القلق عما إذا كانت مشاغله العديدة ستصرفه عن الاهتمام بالكنز وإغفاله الموعد الذي حدده بنفسه .

وأخيراً حل يوم ١٥ أبريل . وجعلت أترقب قدوم كوبيين' ولكن دون جدوى وفرغت من طعام الغداء وهو لم يحضر بعد . فلما جاوزت الساعة الثانية عشرة غادرت مسكني قاصداً (باسي) .

وما كنت أجد الحارة حتى رأيت العامل وأسرته وقوفاً بالبواب عند الجدار : فلما أتيتوا الأستاذ 'فالاندييه' خف إلي مسرعاً وهو يقول :

- هيه .. ؟ وأين الكابتن 'جينيوت' . ؟

وكان هذا هو السؤال الذي اتوقعه .. وأخشاه .. فقلت :

- ألم يحضر بعد . ؟

- نعم لم يحضر .. والجميع في لهفة إلى مقابلته .

واجتمع القوم حول المحامي . ولم يغب عني ان امارات القنوط
والوجوم التي طالعتني بها هذه الوجوه منذ عام قد اختلفت وتبددت .
إذ اشرفت ثنابهم وعمر الأمل قلوبهم .

وقال الأستاذ 'فالاندييه' :

- إن قلوبهم عامرة بالرجاء .. وأنا المسؤول عن هذه الغلطة ولكن ما
كان في وسعي أن أفلح غير هذا .. لقد استطاع صديقك أن يؤثر في
نفسه تأثيراً عميقاً حملني على أن اتحدث إلى هؤلاء القوم فيما يشبه
اليقين .. والحق أن صاحبك الكابتن 'جينوت' رجل غريب الأطوار .
وفي حديثه ما يبعث الثقة في نفس أشد الناس استرابة وتشككا .
ثم أخذ يوجه إلي طائفة من الأسئلة عن الكابتن 'جينوت' وأنا التي
إليه عنها أجوبة خيالية زادته إعجاباً بصديقي وتقديراً له .

وقال المسجل في صوت يدل على الإيمان :

- بالتأكيد .. كان مفروضاً أن تنكشف الحقيقة يوماً ما .

وكان الجندي يؤمن على هذا الكلام دون أن تخالجه ذرة من الشك :

إذ كيف يرتاب في أقوال ضابط رفيع الرتبة كالكابتن 'جينوت' . !

أما السيدة ذات الكلب فاهتمت بأن تستفسر عن سن الكابتن وهل

هو في شرح الشباب .. !!

أما 'كويز' رنمونت' فقالت :

- ألا يحتمل أن يتخلف ؟

فقال الشحاذ :

- لو تخلف لبقيت لنا الخمسة آلاف فرانك فنلقسها معا .

وهبطت كلمات 'كويز' فوق الرؤوس كالماء البارد ففترت .. حماسهم
وتبدد ابتهاجهم وعلامهم الوجوم من جديد . وثقل الهواء حتى لقد
خيل إلي أن هناك قرأً يجثم على صدره . وأنا أرى بؤس هؤلاء
المتلهفين المساكين الذين تعلق مصيرهم بصديقي 'أرسين لوبين' .

ولما تجاوزت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر كان القلق قد اشتد
بالأختين فتهاكتا على أحد المقاعد منهكتي القوى . وفجأة اقترب

السيد البدين من المسجل وقال في لهجة عتاب مرة :

- إنك لا تستحق منا يا أستاذ 'فالاندييه' إلا اللوم الشديد . كان

ينبغي أن تأتي بالكابتن معك ولو قسراً عنه .. لقد هزأ بنا .. هذا

أمر جلي !

ورماني بنظرة لاذعة . كما أخذ الخادم يقرض على أسنانه ويتمتم

ببعض كلمات السباب بين شفطيه .

ولست أنكر أن عتابهم نال مني وأثر في نفسي إذ أزعجني غياب

'كويين' ولم أجد للامر تعليلاً إلا أنه نسي مسألة الكنز .

وملت إلى المسجل وهمست في أذنه قائلاً :

- أغلب ظني أنه لن يحضر بعد ذلك !

وجعلت أشد ذهني مفكراً في وسيلة تهيب لي سبياً للانسحاب

قبل أن تتحرج الأمور ويبلغ اليأس مناطه . ولكن قبل أن تحين فرصة

للانصراف أقبل أحد أبناء العامل من الخارج مسرعاً وهو يصيح :

- إنني أرى شخصاً قادمًا .. على موتوسيكل . وراينا رجلاً يجتاز

الحارة على متن موتوسيكله بسرعة خارقة تستهدف معها حياته

للخطر وفجأة أوقف موتوسيكله أمام الباب ووثب إلى الأرض .

وكان الرجل مرتدياً سترة كحلية أنيقة . ولكن طبقات الغبار علتها

فأفسدتها .

وهتف الأستاذ 'فالاندييه' قائلاً :

- ولكن ليس هذا هو الكابتن 'جينوت' .. !

فقد أخطاه التوفيق في معرفته .

وهتف الرجل وهو يصفحني :

- بل هو الكابتن بعينه .. وكل ما هنالك أنني حلقت شاربي .. !

ومع ذلك فهذا إصالك المكتوب بخطك يا أستاذ 'فالاندييه'

وأخذ 'كويين' بذراع أحد أبناء العامل وهتف به :

- أسرع يا غلام إلى شارع (رانوارد) واستدع لي تاكسيا .. وإياك

والإبطاء فإني مرتبط بموعد مهم في الساعة الثانية أو الثانية والرابع

على الأكثر ... !

وسرت بين الحاضرين مهمة تنطوي على الاحتجاج .

وأخرج 'لويين' ساعته ونظر فيها وقال :

- حسنا ... ! إننا الآن في الساعة الثانية إلا عشر دقائق .. ! أمامي

إن ربيع ساعة .. ! وبالله .. ما أشد تعبي .. ! وما أشد جوعي .. !

وبادر الجندي بتقديم قطعة من السندوتش إلى 'لويين' فراح

يقضمها وقد استوى جالسا ومضى يقول :

- إنني أسالكم الصفح أيها السادة . لقد كنت في (مارسيليا) وعدت

منها بالقطار السريع .. ولكن شاء سوء الحظ أن يخرج القطار من

القضبان فيما بين (ديمون) و (لاروش) فقتل عشرة أشخاص وجرح

كثيرون فاضطرت إلى أن أشتبك في إسعافهم . وقد عثرت على هذا

الموتوسيكل في عربة البضاعة فسرقته ليتسنى لي الحضور في الوقت

المناسب .. فأرجو يا استاذ 'فالاندييه' أن تتفضل بإعادته إلى

صاحبه .. واسمه مدون في البطاقة المثبتة إلى عجلة القيادة .. هيه ..

أعدت يا بني ؟ ..

هل التاكسي واقف بالباب ؟ عند رأس الحانة ؟ حسن .

ونظر في ساعته مرة أخرى ثم قال :

- أذف الوقت .. ! ليست لدي دقيقة واحدة أضيعها .. !

وأرسلت إليه بصري في فضول شديد .. وللقارئ أن يتصور مبلغ

الانفعال الذي كان مستوليا على آل 'رثمونت' في هذه اللحظة .. ولو

أنهم كانوا يعرفون أن هذا الرجل المائل أمامهم هو 'أرسين لويين'

لاطمأن بهم ولسري عنهم وله في حل الالغاز شهرة منوية ...

وتحول الكابتن 'جينيوت' إلى اليسار ومشى صوب المزلولة

الشمسية، وكانت قاعدة المزلولة تمثل رجلا قوي البنية مفتول

العضلات يحمل فوق كتفيه لوحة رخامية اثر فيها تعاقب الأعوام حتى

بنت خطوط الساعات جلية فيها . وكان فوق اللوحة تمثال لكيوبيد

يحمل في يده سهما يستخدم أيضا بمثابة عقرب للمزلولة .

مال 'لويين' فوق المزلولة هنيهة وقد استغرقته الخواطر .

رفع رأسه وتحول إلينا قائلا :

فليعزني احكم ميراته .

ودقت ساعة الكنيسة بقتن .

وفي هذه اللحظة كان ظل السهم ساقطا على المزلولة . تماما فوق شق

في اللوحة يقسمها نصفين متساويين تقريبا .

وتناول الكابتن المبراة التي قدمت إليه . وفي رفق شرع يزيل الغبار

الذي تراكم في الشق الضيق فسده .

وفجأة .. على قيد بوصات قليلة من الحافة .. أمسك عن العمل كأنما

اصطدم نصل المبراة بعقبة حالت دون جريانها في الشق . ثم دس

أصبعه في الشق وأخرج شيئا مسه بيده وقدمه إلى الأستاذ 'فالاندييه'

وهو يقول :

- هذه يا استاذ بداية يمكن أن نستهل بها أبحاثنا .. !

وما كان هذا الشيء إلا ماسة كبيرة مصقولة في حجم البندقة وتابع

'لويين' عمله .

وبعد لحظات أمسك مرة أخرى . وظهرت ماسة ثانية ليست دون

الأولى روعة وجمالا .. !

وجاءت ماسة ثالثة .. ثم رابعة .. !

وفي خلال دقيقة واحدة . ودون أن يغوص 'لويين' بنصل ميراته .

إلى أكثر من نصف بوصة . استطاع أن ينتزع من الشق عشرين ماسة

متماثلة الأحجام .

وفي أثناء ذلك لم تبرر من الورثة صيحة دهش واحدة .. كانوا

وقوفا حول المزلولة يرقبون .. يتطلعون بعيون منهولة وقد عقدت

الدهشة السنتهم .. !

وأخيرا هتف السيد البدين :

- أيتها العذراء .. !

وصاح الجندي :

- سيدي الكابتن .. ! سيدي الكابتن .. !

ترنحت الأختان وسقطتا مغشيا عليهما .. على حين جثت صاحبة الكلب وأخذت تصلي .. أما الخادم فكان يخر فاقدا رشده ، لولا أن استند بمرفقه إلى المزولة وهو يتمايل .. ونظرت إلى 'لويز ترنمونت' فوجدتها قد انشأت تبكي .

وحين قررت الضجة وسكنت الأعصاب . وتلفت القوم حولهم ليقدموا آيات الشكر إلى الكابتن 'جينيوت' الفوه قد انصرف واختفى !

بعد أيام التقيت بـ 'أرسين لوبين' فانشأ يحدثني عن الكنز إجابة لسؤالي :

- حكاية الماسات العشرين ؟ .. أه .. ! لعمرى إنني ليزدهيني الفخار حين أذكر أن ثلاثة أو أربعة أجيال من الناس قد قلدوا أنهانهم سعيا وراء الكنز فأخفقوا .. ! مع أن الماسات كانت مخبأة على قيد خطوة منهم ... لا تعلقها إلا بوصة واحدة من الغبار المتراكم ؟ ..

- ولكن كيف خمنت الحقيقة ؟

- لم أضمن . وإنما فكرت .. ! بل إنني لأرتاب في أنني فكرت .. ! لقد كان الأمر من السهولة بحيث لم يكن هناك ما يدعوني إلى التفكير وشحذ الذهن لقد استرعى يصري منذ البداية أن هناك عاملا واحدا يسيطر على الموقف كله .. وهذا العامل هو الزمن .. قبل أن يختل عقل 'شارل ترنمونت' كتب تاريخا في ذيل الصورة .. ولما أصابته اللوثة اعتاد أن يهبط إلى الحديقة مرة في كل عام مدفوعا بما بقي في ذهنه من بارقة التعقل .. وفي كل عام لم يكن يغادر الحديقة إلا في الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين . فلا شك إذن أن في مخه ذكرى قديمة تتغلب على جنونه وتحفره إلى هذا التصرف .. فما هي إذن هذه الذكرى المتغلبة .. ؟ لم تكن هناك أدنى رغبة في أن الزمن إذن هو العامل المتحكم .. العامل المتسلط على ذلك الذهن المخبول .. وكان الزمن متمثلا في المزولة الشمسية الموجودة في الصورة التي رسمها أبوه

فدورة الأرض السنوية حول الشمس هي التي كانت تحمل 'شارل' ترنمونت على الخروج إلى الحديقة في يوم معين .. ودورة الأرض اليومية حول محورها هي التي كانت تحمله على مغادرة الحديقة في ساعة معينة .. أو بعبارة أخرى تلك الساعة التي تحجب فيها أشعة الشمس عن حديقة (باسي) .. وفي كل هذا كانت الشمس هي الرمز القائم ، ولهذا سهل علي أن أعرف النقطة التي أبدا فيها بحثي ..

فقلت متسائلا :

- ولكن كيف حددت الساعة التي تبدأ فيها البحث ؟

- من الصور .. إن رجلا يعيش في عهد الثورة ينبغي أن يستعمل في كتابة التواريخ أحد تقويمين : التقويم العادي .. والتقويم الثوري . فإما أن يقول ١٥ أبريل سنة ١٧٩٤ وإما أن يقول ٢٦ جرمينال سنة ٢ طبقا للتقويم الذي وضعه الثوار . ولكنه خلط بين التقويمين فقال ١٥ أبريل سنة ٢ ولم تكن هناك أية شبهة في أن هذا الخلط كان متعمدا مقصودا . ويدهشني أن هذا الخاطر لم يطف بذهن أحد قبلي .

- إذن فالرقم ٢ معناه الساعة الثانية لا السنة الثانية ؟

- بالتأكيد .. وإليك ما اعتقد أنه حدث : باع الجنرال 'ترنمونت' كل أملاكه . ثم رأى بدافع من الحرص والحذر أن يبتاع بالمال عشرين ماسة . فحين طرق الجنود بابه أسرع إلى الحديقة ليخفي ماساته .. ولكن أين يجد المخبا الأيمن ؟ اتفق في هذه اللحظة أن حانت منه لفظة إلى المزولة الشمسية .. وكانت الساعة الثانية بعد الظهر .. وكان ظل السهم ساقطا فوق الشق الذي يشطر اللوحة نصفين فاستجاب إلى علامة الظل ودفن ماساته في الشق في طيات الغبار المتراكم المتلبد . !

فقلت معترضاً :

- ولكن ظل السهم يسقط على طول الشق عند ظهر كل يوم لا في يوم ١٥ أبريل فقط .

- أنسيت يا صديقي أن الذي كتب هذا التاريخ هو الابن 'شارل' ، وأن 'شارل' ملثوي الذهن وقد اختلبل فيما بعد .. فهو لا يذكر إلا شيئا

واحدا .. اليوم الذي وقع فيه الاعتقال .

قلت :

- ولكن ما دمت قد أزحت الستار عن اللغز بهذه السهولة ، فلم لم
تتسلل إلى الحديقة وتستولي على الماسات لنفسك . !
فابتسم كويين ابتسامة حزينة وقال :

- ما كنت لأحجم عن هذا لو أن الورثة من طراز آخر .. ولكنهم قوم
بؤساء تعساء وقد أحزنني أمرهم وادركتني الشفقة عليهم فلم
يطاوعني قلبي على أن أسلبهم كنزهم .. إنك تعرفني يا صديقي ..
وتعرف حماقتي . ! إن كويين مولع بأن يكون عند الفقراء رسول
سعادة وهناءة .. كم من مرة سرقت لأعطي المساكين .. ذلك شأني
ورأبي دائما . ! في هذه الدنيا اغنياء يقتنون ماسات لا تقدر بثمن ،
أو صورا وتحفا نادرة .. هذه الماسات وهذه التحف تحلت بها الصدور
والجدران . ولكن أية فائدة لها .. اليس أولى بأصحابها أن يبيعوها
ويقدموا ثمنها للفقراء المعوزين . ! هذه الصورة المعلقة على الجدران
.. وهذه الماسة المتدللية من أذن الحساء .. تسعد أسرة فقيرة عاما
كاملا .. ولكن الاغنياء لا يفكرون في هذا ، ولذلك يتولى كويين التفكير
عنهم . ! إنني أسرق تصورا .. والتحف .. والماسات لأنفق ثمنها على
الفقراء . ! فكيف تريدني بعد هذا أن أسرق الماسات من المزولة وأحرم
الورثة المساكين منها .

فقلت :

- وحصتك من الكنز ؟ كان لك أن تستولي على الثلث . ؟

- ولا هذا أيضا . !

- ولا هذا . ؟

- نعم .. لقد نزلت حتى عن حصتي لأصحاب الكنز . لم تكن قيمة
نصيبي لتقل عن مليون فرنك ، ولكنني نزلت عنه عن طيب خاطر

قلت :

- إنني فقد كانت خسارتك مليون فرنك . ؟

فضحك وقال :

- كلا .. بل مليون فرنك مضاهيا إليها المائتا فرنك التي أقرضتها
لدام "أميرت" اللعينة . ! وصدقني إن ضياع المائتي فرنك كان على
نفسي أشد وقعا من ضياع هذا المليون . !

الفصل الثالث

في الساعة الرابعة من مساء احد الايام وقد بدا النهار ينصرم رجع المزارع 'جوسوت' وابناؤه الاربعة إلى دارهم بعد ان امضوا نهارهم في الصيد والقنص . وكان الرجال الخمسة طوال القامة عريضي المنكب مفتولي السواعد لوحث الشمس بشرتهم وركب الله لكل منهم فوق عنقه الغليظ رأساً صغير الحجم ذا جبين ضيق منبعج وشفقتين رقيقتين وانف معقوف وسحنة قاسية تتم عن الشدة والبطش وكان جميع اهل القرية يهابونهم وينفرون منهم . وكانوا معروفين بالجشع . وحين بلغوا الجدار المرتفع الذي يقوم حول املاك (هيبير فيل) فتح الأب الباب بمفتاح ضخم رده إلى جيبه بعد ان دخل اولاده وقد تبعهم على الإثر مجتازين الطريق الذي يتخلل الأشجار .

وقال أحد الابناء الاربعة :

- أرجو أن تكون أُمي قد أشعلت المدفأة .

فقال الأب :

- إنني أرى دخاناً منبعثاً من المدخنة .

وبدت معالم البيت على البعد في نهاية الحديقة . وقد تراعت أبراج الكنيسة سامقة شاهقة تناطح السحب .

وقال 'جوسوت' :

- البنادق كلها فارغة !! ليس كذلك ؟

فقال الابن الأكبر :

- عدا بندقيتي فقد حشوتها برصاصه لأجرب مهارتي .

وكان الأكبر أشدهم زهواً وغروراً ببراعته في إصابة الهدف .

وتحول إلى إخوته قائلاً :

- انظروا إلى هذا الغصن . عند رأس شجرة الفراولة ساجعله نصفين ..

وكان على الغصن فزاعة الطيور . وهي تمثال مصنوع من الاقمشة على صورة الإنسان يثبت فوق الأشجار حتى إذا راته الطيور حسبته

إنساناً ففرت فزعة .

رفع الابن الأكبر بندقيته وسدها إلى الغصن وأطلق النار .

وترنح التمثال وهو على شكل مضحك . ثم علق بإحد الأغصان السفلى فظل منبسطاً عليه فوق بطنه . وعلى رأسه قبعته المعهودة المصنوعة من الخرق البالية . أما ساقاه المحشوتان بالقش فكانتا تهتزآن وتتارجحان يميناً ويساراً .

وأضحكهم هذا المنظر . وقال الأب مقرظاً :

- رصاصه صائبة يا بني !! فضلاً عن هذا فقد بدأ تمثال الفزاعة يضايقني ويثقل على صدري . وما جلست يوماً أتناول طعامي في الشرفة إلا استقر بصري على التمثال وخيل إلي أنه يرمقني بنظرات شرهة .. ! شكراً على أنك أرحمتني منه .. !

وساروا بضع خطوات .

وحين صاروا من الدار على قيد ثلاثين خطوة وقف الأب فجأة في مكانه وهتف يقول :

- ما هذا ؟

وكذلك جمد الابناء الاربعة في امكانهم وأرهفوا اذانهم للسمع وقال احدهم في صوت خافت :

- إن الصوت صادر من البيت .. ! من غرفة الغسيل .. !

وتتمم ثان يقول :

- كاني به صوت تاوهات .. ! أُمي وحدها في البيت .. !

وفجأة .. بوت صرخة حادة .

وانطلق الرجال الخمسة صوب الدار .

ثم صرخة أخرى .. اعقبتهما صيحات يأس وقنوط .

وهتف الابن الأكبر الذي كان يتقدم الجمع :

- إننا هنا .. ! إننا آتون .. !

ولما كان الطريق ملتويًا فقد وثب الابن الأكبر إلى اقرب نافذة إليه وهشم زجاجها بقبضة يده وقفز إلى الداخل .

وكانت الغرفة التي ولجها هي المخدع الذي ينام فيه أبوه . أما الغرفة المجاورة فكانت غرفة الغسيل حيث اعتادت الأم 'جوسوت' أن

تمضي سحابة نهارها .

وحين رآها طريحة على الأرض غارقة في دمها صرخ يقول :

- يا إلهي .. أبت .. أبت .. أبت .. !

وصاح الأب 'جوسوت' :

- ماذا جرى .. أين هي .. ؟

وحين استقر بصره عليها صرخ يقول :

- يا إلهي .. ! ما معنى هذا ؟ ماذا فعلوا بك يا أماء .. ؟

واستجمعت المرأة قواها .. بسطت نراعها مشيرة وتمتمت في

صوت ضعيف :

- الحقوا به .. ! من هذه الناحية .. ! هذه الناحية .. ! إنني بخير .. !

خدش أو خدشان .. ! الحقوا به .. ! لقد سرق مالنا .. !

وصرخ الأب وأبناؤه :

- سرق المال .. !

وانطلقوا صوب الباب الذي أشارت إليه الأم وهم يرددون :

- سرق المال .. ! تياً له .. ؟ هيا وراء اللص .. !

وارتفع من أقصى الدهليز الذي ساروا فيه صوت أحدهم يقول :

- رأيته .. رأيته .. !

وصاح آخر :

- وأنا أيضا .. ! لقد ارتقى السلم .. !

- كلاها هو ذا ينزل ثانية .. !

وكانت مطاردة حامية جنونية .. مطاردة اهتزت لها كل غرفة في

البيت حتى كانت تتصدع منها الجدران .

وحين بلغ الأب 'جوسوت' نهاية الدهليز لمح رجلا واقفا عند الباب

الأمامي وهو يحاول فتحه .

لو أنه افلح في فتح هذا الباب لاستحال اللحاق به إذ ليس أبسر من

التستر بالأشجار واجتياز الحديقة ثم التغلغل في أزقة القرية

وطرقها .

واسرع الأب 'جوسوت' وانقض على الرجل وهو يعالج الباب ولكن

هذا تلقاه بضرية الفته على الأرض صريعا . ثم رجع على عقبه يجتاز

الدهليز ثانية والأبناء الأربعة في إثره حتى إذا انتهى إلى المخدع

تخطى سياج النافذة المهشمة وقفز إلى الحديقة واختفى .

وانطلق الرجال في إثره يجوسون خلال الحديقة ويبحثون عنه بين

شجيرات الملتفة . وقد بدأ الظلام يرخي سدوله .

صاح الأب 'جوسوت' وهو يضحك :

- وقع الشرير في الفخ .. لا مهرب له .. ! إن السياج مرتفع لا

سبيل إلى تخفيه .. ! سنظفر به حتما .. !

وكان بعض المزارعين الذين يعاونونه في العمل قد رجعوا من القرية

في هذه اللحظة فأنباهم بما وقع وأعطى كلا منهم بندقية وقال :

- إذا تراءى لكم شبحه فلا تترددوا في إطلاق النار عليه .. ! إياكم

أن تاخذكم به رحمة أو شفقة .. !

ثم حدد لهم المواقع التي يقفون فيها وأسرع إلى بوابة المزرعة التي

لا تستعمل إلا لمرور المركبات . فلما إيقن من أنها مغلقة نكر إذ ذاك -

وإذ ذاك فقط - أن زوجته جريحة وأنها قد تكون في حاجة إلى شيء

من الإسعافات فرجع إليها وأقبل عليها يسألها :

- كيف حالك يا الآن .. !

- أين اللص .. ؟ اظفرتم به .. ؟

القت إليه هذا السؤال في أنفاس متقطعة مبهورة .

- إننا نجد في إثره .. ولن يفلت منا .. ! واغلب ظني أن الأولاد قد

اقتنصوه الآن .. !

وكان في هذا النبا ما أبهج قلبها ورد إليها قواها الضائعة . وصب

زوجها في حلقها رشفة من الشراب فانتعشت واستطاعت أن تنتقل إلى

فراشها مستندة إلى ذراع 'جوسوت' .

ثم شرعت تروي قصتها . وكانت قصة وجيزة مختصرة : فرغت من

إشعال المدفأة في قاعة الجلوس . وجلست عند نافذة مخدعها تطرز

قطعة من القماش مترقبة عودة زوجها وأبنائها حين خيل إليها أنها

سمعت صوتا صادرا من غرفة الغسيل .

وقالت في نفسها : - لا شك أنني سهوت عن إخراج القطعة فحبستها

هناك .

ومضت إلى الغرفة دون أن تخالجها ثرة من الريبة : على أنها ما كانت تتخطى العتبة حتى انهشها أن ترى باب الدولاب الذي تودع فيه المال المدخر مفتوحاً على مصراعيه . فسارت إليه وهي لا تتوقع شراً فإذا بها ترى رجلاً واقفاً عند الدولاب .

فقال الأب 'جوسوت' :

- ولكن كيف استطاع الدخول ؟

- من الدهليز فيما اعتقد . فإننا لم نعدت إغلاق الباب الخلفي .

- وهل هجم عليك ... ؟

- لا بل أنا التي هجمت عليه ... ! فحاول أن يفر هارباً .

- كان ينبغي أن تدعيه ولا تحاولي اللحاق به ... !

- والمال الذي سرقه ... ؟ أأدعه يهرب بما أخرجنا ... ؟

- أكان إذن قد سرقه في هذه اللحظة ... ؟

- بالتأكيد ... لقد رايت رزمة الأوراق المالية في يده إلا سحقا له . !

لو استطعت لقتلته في هذه اللحظة .

- ألم يكن مسلحاً ... ؟

- لم يكن سلاحه خيراً من سلاحي ! كان كل منا مدججاً بأصابعه

واظفاره وأسنانه ... ! انظر ... لقد عضني هنا ! وقد اضطرت إلى أن

أصرخ . ! لا تلمني فإنني لست إلا امرأة طاعنة في السن ... وقد

أكرهني اللعين على أن أتخلى عنه وأطلقه .

- أتعرفينه ... ؟

- إنني موقنة أنه 'ترينارد' العجوز ...

- الويل له ... ! نعم . لا بد أنه 'ترينارد' اللعين ... ! ولقد خيل إلي أنا

أيضاً أنني عرفته ... ! ولقد لمحت في الأيام الثلاثة الماضية يحوم حول

البيت ... لا ريب أن الشقي استشعر أن لدينا مالا مدخراً . ! تبا لك يا

'ترينارد' . ! سوف ترى أنني سأعرف كيف أنتقم ... !

- هل في وسعك الآن أن تزايلي فرأشك ... ؟ حسناً ... انهبي إذن

وأخطري الجيران بما وقع . وأطلبني إليهم أن يبادروا باستدعاء

البوليس ليت شعري كيف استطاع 'ترينارد' العجوز أن يجري ... نعم .

نعم ... عهدي به كالرئب قوي السيقان ...

ولم يكن في نية 'جوسوت' أن يتهاون لحظة واحدة في إنزال العقوبة الصارمة بـ'ترينارد' الشيخ ... في نيته إذا ما اقتنصه أن يتهاون عليه ضرباً بالسوط ثم يسلمه إلى رجال البوليس .

وتناول المزارع بندقيته ولحق برجاله الذين أُرصدتهم للمراقبة وقال :

- ألم يجد شيء ... ؟

- نعم لم يجد شيء .

- لن يطول انتظارنا إذن ...

وما بين لحظة وأخرى كانوا يسمعون صوت الأخوة الأربعة ينادي بعضهم بعضاً، وهم يجوسون خلال الحديقة . ويضربون بمقابض بنادقهم فيما بين الشجيرات . ولكن التوفيق أخاطهم فلم يهتدوا إلى مخبأ اللص .

أخيراً رجع أحد الأبناء وفي وجهه إشارات الخيبة ولم يحاول أن يكتم رايه فقال :

- الظلام حالك يا ابتاه . فلا فائدة ترجى من مواصلة البحث الليلة ولا شك أن اللعين قد اختفى في إحدى الحفرات ... فأولى بنا أن نرجىء المطاردة حتى الصباح .

فصاح الأب :

- الصباح . ! ماذا هناك يا بني ؟ أفقدت الجلد والشجاعة ؟

وجاء الابن الأكبر إذ ذاك مبهور الانفاس ، يتصبب جبينه عرقاً ، وشاطر أخاه رايه ... وأي ضرر يمكن أن ينكشف عنه الانتظار واللص حبيس بين جدران المزرعة العالية كأنه نزيل سجن لا سبيل له إلى الفكاه منه . ؟

فصاح الفلاح الشيخ :

- إذن ساتولى البحث بنفسي . ! اشعلوا لي مصباحاً . !

وفي هذه اللحظة وصل ثلاثة من رجال الشرطة يصحبهم نفر من أهل القرية جاوعوا يستطلعون آخر الأبناء .

وكان السرجنت الذي يتولى رئاسة الشرطة ولوعاً بالنظام فاصر على أن يسمع القصة أولاً بحذافيرها قبل أن يشرع في البحث ، فلما فرغ الأب 'جوسوت' من روايته غرق السرجنت في التفكير ... ثم راح

يطرح شتى الأسئلة على الإخوة الأربعة كل على انفراد .. وكان إذا ما فرغ من استجواب أحدهم اطال التفكير .

وأخيراً حين عرف أن اللص فر هارباً صوب الجهة الخلفية من المزرعة وأن اثره قد اختفى بالقرب من مكان معروف باسم «بيت الغربان» فكر طويلاً ثم ادلى برأيه قائلاً :

- اولى بنا أن ننتظر .. إن المطاردة في هذا الظلام الحالك ستتهيء لـ«ترينارد» العجوز سبيلاً إلى الإفلات من بين أيدينا دون أن نشعر به.. والآن اسعدتم مساء .. !

وهز الأب «جوسوت» كتفيه حنقاً ولعن في سره . ولكنه كان لا بد من بسط رقابة شديدة على المزرعة حتى لا يحاول اللص الفرار أثناء الليل. فتولى السرجنت بمساعدة الأب «جوسوت» توزيع أهل الدار وبعض المزارعين والقرويين في شتى الأنحاء . فأرصدوا هذا هنا وذاك هناك . ولما اطمان السرجنت إلى كمال خطته الحربية أوى إلى الدار وامضى الليل يحتسي كؤوس الشراب التي قدمها إليه «جوسوت» . وانقضى الليل في سلام .

وكلما انقضت ساعتان غادر السرجنت الدار وطاف بمراكز المراقبة ليطمئن إلى أن الرجال ساهرون متيقظون . ولم يقع أي حادث يثير الشبهات . إذن فلإيزال «ترينارد» العجوز منزويًا في الحفرة التي أوى إليها . وبدأت المعركة عند الفجر . واستمرت أربع ساعات .

وفي خلال هذه الساعات الأربع لم يدع المطاربون شبرًا من الثلاثة عشر فدانا المسورة بالجدران العالية إلا نقبوا فيه .. ولم يتركوا ركنًا من الأرض إلا قلبوه رأسًا على عقب .. كل حفرة فتشوها .. وكل زاوية بحثوا فيها .. وجعلوا يجوسون خلال الشجيرات المتكاثفة بعصيمهم .. ويطنون الأعشاب الطويلة الغامية بأقدامهم .. ويزحزون أغصان الأشجار وينظرون فيما بينها ..

ومع ذلك لم يقعوا على اثر لـ«ترينارد» العجوز .. !

وقال «جوسوت» مزجرأ :

- إن الأمر محير مريب .. !

وقال السرجنت مؤمناً :

- الحق أنه يدهشني أنا أيضا .. !

ولم تتفق الأثمان عن أي تعليل لهذا الاختفاء العجيب .. !

لم يكن في المزرعة إلا عدد قليل من الشجيرات وقد بحثوا في خلالها بحثاً دقيقاً .. أما الأشجار فكانت كلها عارية من الأوراق فلم يكن ثمة سبيل إلى الاختفاء فيها . لم يكن هناك بناء أو كوخ أو كهف .

وقصارى القول إنه لم يكن في المزرعة مخبأ يختفي فيه «ترينارد» العجوز . والمخابئ الموجودة فتشت كلها ونقب فيها .

وقال احد الحاضرين :

- يحتمل أن يكون قد تخطى الجدار .. ؟

واتجه البحث إلى هذه الناحية .. ولكن الرأي ما لبث أن اجتمع على أن تسلق الجدار مستحيل .

وبعد الظهر تولى قاضي التحقيق ووكيل النيابة التحقيق . ولكنه لم يسفر عن شيء جديد . بل لقد تسرب الشك إلى نفوس المحققين ووقع في روعهم أن الحادث اكتوبية ملفقة لا ظل لها من الحقيقة وأن الاعتداء المزعوم على الأم «جوسوت» لم يقع مطلقاً .. !

وقال القاضي يسأل «جوسوت» :

- اموقن انت يا «جوسوت» من أن البصر لم يخدعك وابناك فرايتهم شيئاً لا وجود له .. ؟

- فقال المزارع وقد استولى عليه الغضب :

- وما يكون من شأن زوجتي .. ؟ أكانت مخدوعة هي أيضا حين انقض عليها الشرير واطبق باصابعه على عنقها .. ؟ إذا خالجتك الريبة في قولي فافحص عنقها وانظر إلى ما هو مطبوع عليها من آثار الأصابع .. !

فقال القاضي :

- حسناً .. حسناً .. ولكن أين اللص إذن .. ؟

- هنا .. حبيس بين الجدران .. !

- إذن عليك أن تجده .. ! ما دمت موقناً من وجوده فالتنا به .. ! أما نحن فقد أدركنا اليأس وقطعنا الرجاء .. ! وجلي أنه لو كان اللص مختبئاً بين جدران هذه المزرعة لكنا الآن قد وفقنا حتماً إلى الاهتداء

إليه .

فصاح "جوسوت" في انفعال :

- أقسم اني سأظفر به مهما يقتضي الامر .. ان يقال في يوم من الأيام إن لصا سلب "جوسوت" ستة الاف فرنك .. !
نعم ستة الاف فرنك .. لقد بعث ثلاث بقرات .. ثم هناك ثمن محصول القمح .. وثمان ثمار التفاح .. ستة الاف فرنك أوراقا مالية كنت أوشك أن أمضي بها إلى البنك .. ! أقسم اني سأظفر به . واني اعتبر المال كأنه موجود الآن في جيبي .. !
فقال قاضي التحقيق :
- حسنا .. أتمنى لك التوفيق .

ثم انصرف وفي رفقته وكيل النيابة يتبعهما رجال الشرطة . وكذلك أخذ الجيران ينصرفون تباعا . وما أن انقضت ساعات بعد الظهر حتى كان الجمع كله قد انفض ولم يبق إلا "جوسوت" واثنان من عمال المزرعة ومضى "جوسوت" يشرح الخطة التي اعتمزم تنفيذها : عليهم أن يواصلوا البحث طيلة النهار دون كلل أو ملل . فإذا ما هبط الليل راقبوا المكان مراقبة دقيقة .. وسيستمرون على ذلك مهما يطال الامر .. إن "ترينارد" العجوز ليس إلا بشرا .. فلا مفر له من أن يأكل ويشرب .. إنه لن يموت جوعا .. وستفسره هذه الحاجات على أن يتسلل من مخبئه ليأكل ويشرب .. وسيكونون له بالمرصاد فإذا ما زایل مكانه انقضوا عليه وأخذوا بتلابيبه .
قال "جوسوت" :

- يحتمل أن تكون في جرابه بعض قطع من الخبز يتبلغ بها . وقد يسطو على ثمرة أو ثمرة في أثناء الليل . أما الماء فلا سبيل له إليه ..

ليس في الحديقة إلا عين واحدة . وانه ليكون شيطانا من الجن إذا استطاع أن يصل إلى العين .. !!

وفي تلك الليلة تولى "جوسوت" حراسة العين .

وبعد ثلاث ساعات حل الأبن الأكبر مكانه . وقد أمضى عمال المزرعة ليلتهم في الدار وهم يتبادلون نوبة الحراسة وقد أشعلوا المصابيح

والقناديل كلها حتى لا يؤخذوا على غرة .

ودابوا على هذه الرقابة أربع عشرة ليلة متوالية .. !

في أثناء الليل يراقبون ويسهون .. وأثناء النهار يفتشون وينقبون . !

وفي الليلة الأخيرة كانت الامور كشأنها في الليلة الاولى . لا يزال اللص مختفيا ومعه ستة الاف فرنك .. !

ولم يكف "جوسوت" الاب لحظة واحدة عن الشتم والسب .. إنه موقن من أن "ترينارد" مختف في المزرعة ولكن في أي ركن منها .. ؟

واستدعى "جوسوت" شرطيا سريا ممن اعتزلوا الخدمة وعهد إليه بمعاونته في البحث . وأقام المفتش السري اسبوعا كاملا في المزرعة .. ومع ذلك فلم يهتد إلى "ترينارد" العجوز . بل لم يوفق إلى أي اثر يمكن أن يحيي الأمل في الصور .

وقال "جوسوت" الأب :

- إنه لغز محير .. ! لغز محير جداً .. ! إنني موقن من انه موجود .. !
نعم .. إنه هنا .. حبيس بين جدران هذه المزرعة .. !

ووقف "جوسوت" على عتبة الدار وزعق بملء صوته موجها حديثه إلى اللص الخفي :

- الا تعلم ايها الأحمق انه لا سبيل إلى الفرار وانك .. ستموت اختناقا في حفرتك ! اتحسبني أرضى بان أفرط في ستة الاف فرنك .. ! اختف إذن ايها الغبي الأحمق فإني لك بالمرصاد ولن تغفل لي عين .. !

ورددت الأم "جوسوت" شتائم زوجها وصرخت بصوتها الحاد النبرات :

- إنك خائف من أن نزع بك في السجن .. ! حسنا .. اعد إلينا الأوراق المالية نطلق سراحك على الفور ولا نسلمك إلى البوليس .. !

ولكن "ترينارد" العجوز ليث لانذا بالصمت لا ينطق بكلمة ولا يكشف لهما مخبأه على الرغم من مواصلتهما النداء عليه حتى يج منهما الصوت .

وتتابعت الأيام .

وبلغ من قلق 'جوسوت' وما أرق به نفسه أثناء البحث أنه أصيب بالحمى . أما أبناؤه فساعت أخلاقهم ونزعوا إلى الشراسة والمشاكسة .

وكانوا لا يتخلون لحظة واحدة عن بنادقهم وفي عزمهم أن يطلقوا النار ولم يكن للقرية من حديث غير حديث هذه السرقة .

وردت الألسن القصة حتى انتهت إلى صحف المدينة فتناقلتها . وأوقدت بعض الصحف رجالها للتحري .. بل لقد أوقدت بعض صحف باريس مندوبيها .. غير أن 'جوسوت' لقي رجال الصحافة غاضبا وأوصد بابه في وجوههم حانقا وهو يقول :

- كل إنسان ملك في داره .. فلا تتعرضوا لشؤوني .. ! هذا امر يعينني وحدي فلا تتدخلوا .. !

- ولكن ألا ترى يا 'جوسوت' ..

- لست أرى شيئا .. اغربوا عن وجهي .. !

وصفق الباب في وجوههم .

وإلى هذه اللحظة كان قد مضى أسبوعان و'ترينارد' العجوز حبيس بين جدران المزرعة .. ولم يتهاون 'جوسوت' في البحث لحظة واحدة .. كان يوالي التنقيب بنفس الهمة التي بدأ بها في اليوم الأول . وإن كان رجاءه قد أخذ يضعف تدريجيا كأنما استشعر أن في الأمر سرا خارقا للطبيعة لا سبيل لقدرة بشرية إلى التغلب عليه واستكناه معمياته .

وبدا الياس يتسرب إلى نفوسهم . ووقع في روعهم أنهم لن يروا للمال المسروق ظلا .

* * *

في ذات صباح .. في نحو الساعة العاشرة .. كانت هناك سيارة تجتاز ساحة القرية بسرعة خارقة .

وفجأة هدات السيارة من سرعتها ووقفت دفعة واحدة وقد أصيبت بخلل .

وفحصها قائدها فحصا دقيقا وقرر أن إصلاح العطب سيستغرق وقتا فلم ير صاحبها مندوحة إزاء هذا من المضي إلى فندق القرية ليتناول الغداء . ويصيب شيئا من الراحة ريثما يتم إعداد سيارته وصاحب السيارة في العقد الرابع من العمر ، باش الوجه رقيق الحديث ، حلوه . وما أن أمضى في الفندق فترة وجيزة حتى لقي من أصحابه كل عناية لما طبع عليه من البشاشة ورقة الجانب .

وطبيعي أن يرووا له قصة 'جوسوت' واللص الخفي .

ولم تكن قد بلغته من قبل . إذ كان مسافرا في الخارج ، ولم يعد إلا منذ أيام قليلة . ولكن الحادث استرعى اهتمامه ، وطاب له أن يسمع التفاصيل . وكان في خلال ذلك لا يفتأ يستفسر عن بعض النقاط الغامضة المبهمة . واشترك في الحديث جميع الجالسين إلى الموائد الأخرى وكل يدلي بتظريته وبالتفسير الذي يراه مبدأ الظلمات ..

وأخيراً قال السيد صاحب السيارة :

- كلام فارغ .. لست اعتقد أن للحادث كل هذا الغموض . ولقد مرت بي من قبل تجارب من هذا النوع ، ولو أنني كنت موجودا في المزرعة لاستطعت أن ..

فقال صاحب الفندق مقاطعا :

- ليس أيسر من أن ندبر لك الأمر ، إن المزارع 'جوسوت' صديق لي ، وما أحسبه سيخيب رجائي .

وخف صاحب الفندق إلى 'جوسوت' ، وكان المسكين قد بلغ من القنوط حداً لا يملك معه رفضا أو قبولا . أما زوجته فقالت :

- فليحضر هذا السيد إنن . ! من يدري . !

ودفع السيد ثمن طعامه ، وتبه على سائقه بأن يلحق به فور فراغه من إصلاح السيارة وقال له :

- الحق بي عند المزرعة بعد ساعة .. ساعة واحدة فلست في حاجة إلى أكثر منها .

ثم مضى إلى مزرعة 'جوسوت' .

وفي المزرعة اصغى إلى حديث 'جوسوت' وكان 'جوسوت' مسهبا في حديثه، نزوعا إلى الثرثرة والإفاضة، فقاد السيد إلى الجدران التي تسور المزرعة وأراه المفتاح الذي أغلق به الباب، ومضى يشرح له تفاصيل البحث الذي قام به مع رجاله.

ومن الغريب أن هذا السيد كان شارد الذهن كأنما لا يصغي إلى حديث 'جوسوت'، كان يرمي ببصره هنا وهناك في شروود دون أن يتكلم، ولما فرغوا من الطواف بالمزرعة قال 'جوسوت':

- هيه .. ماذا ترى ؟

- ماذا أرى ؟

- انظن أنك كشفت الحقيقة ؟

ومرت لحظة دون أن يحير الزائر جوابا.

ثم قال :

- كلا ..

فرمى المزارع بيديه إلى السماء وهتف يقول :

- بالتأكيد كلا .. انى لك أن تكشف الحقيقة وقد سعينا إليها من قبل طيلة أسبوعين كاملين ! أتريد أن اصارحك برأيي ؟ إنني أعتقد أن 'ترينارد' العجوز قد قضى نحبه في الحفرة التي لاذ بها ، ومعه الأوراق المالية ! نعم .. إن أموالي معه .. ستبلى إلى جانب جنته .. هذا هو رأيي .. وثق أنه عين الصواب !

ولما أمسك 'جوسوت' عن الكلام قال الزائر الغريب في صوت هادئ :

- هناك شيء واحد يثير الاستغراب : لا شك أن اللص استطاع في أثناء الليل أن يقتطف من الثمار ما يقتات به حتى لا يموت جوعا .. ولكن كيف احتال على إطفاء ظمئه وأنتم ترصدون العين !

- لست أدري .. ليس في الحقيقة كلها إلا عين واحدة . هذه العين .. ولم نغفل عنها لحظة واحدة طيلة الأيام الماضية .. لا ليلا ولا نهاراً !

- ومن أين تتبع هذه العين ؟

من هذا المكان الذي تقف عنده .

- اهناك ضغط كاف يرسل الماء إلى الحوض من تلقاء نفسه ؟ .
- نعم .

- وإلى أين يجري الماء إذا ما خرج من هذا الحوض ؟

- يجري في هذه الأنبوبة الممتدة تحت الأرض حتى ينتهي إلى البيت ، فلا سبيل له كما ترى إلى إطفاء ظمئه ، ونحن نرصد المكان ليلا ونهاراً .

- ألم تمطر السماء في خلال الأسابيع الأربعة الماضية ؟

- نعم .. لم تمطر ولا مرة واحدة .

وسار الزائر إلى النبع وفحصه ، وكان الحوض عبارة عن بضعة ألواح من الخشب ضم بعضها إلى بعض ، والماء يجري من خلالها . وقال الزائر متسائلا :

- أظن أن عمق الماء لا يزيد على قدم واحد ؟ . اليس كذلك ؟

ولكي يقيسه تناول عوداً من القش أرسله في أغوار الماء .

ولكن فجأة .. رفع رأسه وابتسم وقال :

- امر غريب . !

ثم انفجر يضحك . !

وجرى 'جوسوت' إلى الحوض وجعل يحملق فيه كأنما خطر له أن اللص يمكن أن يكون مختبئا بين الألواح وقال :

- هيه ! ما الذي جرى ؟ ما الذي يضحكك ؟

وهتفت الأم 'جوسوت' قائلة :

- هل اهتديت إليه ؟ هل رأيته ؟ وأين هو ؟

فقال الزائر وهو لا يزال غارقا في الضحك :

- اطمئنوا إنه ليس بين الألواح ولا تحتها . !

وسار السيد الغريب إلى البيت وفي إثره 'جوسوت' وزوجته . وكان صاحب الفندق ونفر من أهل القرية قد حضروا إلى المزرعة وظلوا في صمت وسكون يراقبون حركات الزائر .

قال الزائر وقد أشرق وجهه وعلت شفثيه ابتسامة خفيفة :

- نعم .. وقد اعتدت أن اصطاد بها الحفافير . إنها محشوة بالخرطوش فقط .

- حسنا .. إذن فلن يؤذيه الخرطوش ولكنه سيكشف لكم مخبأه ثم علت وجهه امارات الجد وقال في لهجة صارمة وقد أخذ بذراع 'جوسوت':

- اسمع يا 'جوسوت' ! إنني لست بوليسا سريرا . وما جئت لأقبض على السارق . ولهذا لن أرضى مطلقا بأن يزج به في السجن .. وحسبه قصاصا أنه أمضى حبيسا في المزرعة اربعة اسابيع عانى في خلالها الام الجوع ونوبات الخوف وهذا عندي ابلغ عقاب يمكن أن يتزل به . فعدني بشرفك أنت وأولادك أنكم لن تتعرضوا له بسوء . وأنكم لن تسلموه إلى البوليس ..

- يجب أولا أن يعيد إلينا المال المسروق .

- بالتأكيد . بالتأكيد . هيا أقسموا .

وأقسم 'جوسوت' وأولاده .

وسار السيد الغريب صوب باب الحديقة . ثم رفع بندقيته في حركة سريعة وسدها إلى ناحية شجرة الفراولة وأطلق النار .

ارتفعت صرخة حادة وسقطت إلى الأرض فزاعة الطيور . ذلك التمثال المصنوع من العصي والاقمشة على صورة الإنسان . كان طيلة الشهر الماضي معلقا فوق الغصن : أما الآن فهوى إلى الأرض . على أنه ما كاد يبلغها حتى انبعث واقفا وانطلق يجري .

نهل الحاضرون لما راوا .. تمثالا من القش والعصي والخرق البالية . وتدب فيه الروح ويجري !

وحين تبذبت صدمة الذهول الأولى تصايح الحاضرون وانطلقوا يركضون في إثر التمثال . وكان المسكين يتعثر في خطوه والخرق البالية تعوق حركته . فلحقه المطاردون . ولكن قبل أن ينقضوا عليه كان السيد الغريب قد خف إليه وبسط عليه حمايته . وذاد عنه أبناء الأب 'جوسوت' .

- كان الأمر كما توقعت .. لم يكن هناك مفر من أن يروي اللص ظمأه . ولما لم يكن هناك غير العين .

فقال 'جوسوت' مقاطعا :

- اسمع .. لو أنه جاء إلى العين لرايناه . !

- إنه لم يكن يطفى ظمأه إلا ليلا .

- ولو .. لقد كنا احرياء بان نسمع وقع خطواته . بل لقد كنا احرياء بان نراه ايضا إذ كنا على قيد خطوات قليلة من العين .

- واللص ايضا على قيد خطوات قليلة من العين . !

فقطب الأب 'جوسوت' جبينه وقال :

- أكان يشرب الماء من الحوض ؟

- نعم ..

- كيف ؟

- بطريقة ما

- اية طريقة ؟

- هذا .

وبسط الزائر عود القش الذي التقطه من الأرض ليقيس به غور الماء واستطرد يقول :

- بواسطة هذا العود استطاع اللص أن يشرب الماء من الحوض .

تامله . إنه ليس عوداً واحداً وإنما هو عود طويل مؤلف في الواقع من ثلاثة اعواد تداخلت اطرافها . وهذا اول شيء استرعى بصري . ما الذي يدعو إلى إيصال هذه الاعواد الثلاثة بعضها ببعض ؟ هذا

العود كما ترى دليل قاطع .

فقال 'جوسوت' في شيء من الارتباك :

- دليل قاطع على أي شيء . !

وتناول الرجل الغريب بندقيته على جدار الغرفة وقال :

- اهي محشوة ؟

فاجاب الاخ الاصغر :

- ارفعوا عنه ايديكم .. هذا الرجل لي ! ولن اسمح لمخلوق بان يمد
إليه يداً بالآذى .

ثم التفت إلى «تمثال» الفزاعة وقال :

- ارجو الا اكون قد اذيتك كثيراً يا «ترينارد» !

وكان «ترينارد» واقفاً على ساقين لغتا بالقش والخرق . وكذلك كان
شان نراعيه . اما وجهه ورأسه فقد اختفيا وراء اكداش الخرق البالية
التي لفهما بها ، فلو انك نظرت إليه لما خطر لك إلا انه تمثال الفزاعة ،
وما كان لك أن تصدق أن هناك رجلاً قد اختفى داخل التمثال والقي
على نفسه كساءه وخرقه . وكان المنظر عجيباً وغير متوقع فلم يملك
الحاضرون انفسهم من الإغراق في الضحك .

وأزاح السيد الغريب الاقمشة التي يلف بها الرجل رأسه فأنكشفت
عن وجه قذر ولحية بيضاء ، وتتوسط الوجه الهضيم الهزيل عينان
تلتمعان بتأثير الحمى .

واشدت ضحك الحاضرين .

وصاح «جوسوت» مزمجرأ :

- أين المال ؟ أين الستة الآلاف فرنك ؟

فرد السيد الغريب بإشارة من يده وقال :

- صبراً .. سنرد إليك مالك .. اليس كذلك يا «ترينارد» ؟

ثم تناول مبراته ومزق الخرق والقش وقال مازحاً :

- إن شكلك يثير الضحك أيها الصعلوك ! ولكن ليت شعري كيف

استطعت أن تعمد إلى هذه الحيلة ؟ إنك موفور الذكاء متوقد الذهن ..

او أنك على الأقل مجدود حسن الحظ .. لقد اغتنمت فرصة ضعف

الرقابة في الليلة الأولى فالقيت على نفسك اسمال الفزاعة .. فكرة

رائعة والله ! ! اكان ممكناً أن يخطر لأحد أن السارق قد استحال تمثالا

لإرهاب الطيور ! ! إن العين تقع على هذا التمثال مئات المرات في اليوم

فلم يخطر لأحد أن يطيل إليه النظر أو أن يفحصه ! ! ولكن يا لك من

مسكين ! ! لا شك أن هذا الوضع المك .. طيلة هذين الأسبوعين وأنت

منطرح على الغصن فوق بطنك ، وترعاك وساقاك متدلّية مرخاة ! ! يا

له من وضع ! ! ويا له من عذاب .. ولشد ما كان يستولي عليك الفزع

إذا ما حركت عفواً نراعا او ساقا . ولبت شعري كيف يؤاتيك النوم

وأنت على هذه الحال ؟ ! وكان ينبغي أن تأكل ! وتشرب ايضاً ! ! وما

كان حالك وأنت تشعر بالمراقبين على قيد خطوة منك وبنادقهم في

ايديهم ! ! ولكن اعجب حيلة لجات إليها هي عود القش بلا نزع ! ! لقد

انترزت من القش الذي لفلقت به جسدك بضعة اعواد ادخلت اطرافها

بعضها في بعض حتى طالوت وامدّت وبلغت حوض الماء ..

وبهذه الطريقة استطعت أن تغمس طرف العود في الحوض وتمتص

الماء دون أن يشعر بك أحد او يرتاب في امرك مخلوق ! ! والله إنني

لاستهي أن اقبلك لغرط إعجابي بك ! ! خدعة رائعة يا «ترينارد» ! !

ثم اردف يقول وهو يبتسم :

- ولكن مضى شهر كامل وأنت لا تستحم ولا تغتسل .. إنك خنزير

قذر .. لقد شربت واكلت .. وهضمت .. معدتك ما تناولت اوه .. !

دعوني اسد أنفي باصبعي ، فإنني اشم لك رائحة نتنة .. خذوه ايها

السادة فإنني ذاهب لاغسل يدي .. !

وانقض «جوسوت» وابناؤه على الفريسة التي القيت إليهم

وصرخوا فيه قائلين :

- أين المال الذي سرقت ! ! أعد إلينا الأوراق المالية ! !

حاول الصعلوك وهو في إعياته وضعفه بان يتظاهر بالدهش ،

فصاح فيه «جوسوت» :

- دع التظاهر بالبلهامة فإنها لن تغني عنك شيئاً ! ! هيا .. ابرز

الأوراق المالية الستة ! !

فقال «ترينارد» في صوت متلعثم :

- ماذا ؟ ماذا تريدون مني ؟

- المال .

- أي مال ؟

- الأوراق المالية .

- اية أوراق مالية ؟

فصاح "جوسوت" :

- تبا لك ! لقد بدا صدري يضيق .. هيا يا اولاد ..

وانقض ابناءؤه الأربعة على "ترينارد" وطرحوه أرضا ومزقوا ثيابه
ونزعوا عنه خرقه البالية وفتشوه . ولكنهم لم يجدوا شيئا .

وصاح "جوسوت" في حنق وغيظ :

- ايها اللص .. ايها الشرير .. ماذا فعلت بها ؟

ويدا على ترينارد الاستغراب والدهش . وراح يقول :

- ماذا تريدون مني ؟ اي مال تبتغون ؟ اني لا احمل ولا سنتيما
واحدا !

ولكن عينيه لبتنا تطيلان النظر إلى ثيابه المكومة على الأرض . وكان
يلوح عليه انه لم يفهم .

ولم يستطع "جوسوت" ان يكتم غضبه ، فانهال مع اولاده على
المسكين ضربا وركلا .. ولكن هذا العقاب لم يسفر عن اية نتيجة ، غير
ان "جوسوت" كان موقنا من ان "ترينارد" خبا المال قبل ان يتقمص
تمثال الغزاة .

- اين اخفيتها ايها الشيطان ؟ في اي ركن من الحديقة خباتها ؟

فقال الصعلوك وامارات الغباوة ظاهرة على وجهه :

- المال ؟

- نعم المال ! المال الذي دفنته في مكان ما إذا لم تعثر عليه سلمناك

إلى البوليس . ولدينا شهود على ما فعلت . ! استشهدون معنا ايها
الاصفقاء . وكذلك السيد الذي كشف امرك . والتفت "جوسوت" إلى
ناحية عين الماء ، حيث كان السيد الغريب قد مضى ليغسل يديه .
وأدهشه انه لم ير السيد عند العين .

قال متسائلا :

- هل انصرف ؟

فاجابه احد الحاضرين :

- كلا . لقد اشعل سيجارة ومضى يتريض في الحديقة .

فقال "جوسوت" :

- حسنا .. إنه وحده هو الذي يستطيع ان يرشدنا إلى مخبا الأوراق
كما أرشدنا من قبل إلى مخبا الرجل .

فقال احد الحاضرين :

- إلا إذا ..

فقال "جوسوت" مردداً :

- إلا ماذا ؟ ماذا تريد ان تقول ؟ افصح عما في ذهنك إن كان في

ذهنك شيء .. تكلم .. ماذا تريد ان تقول ؟

ولكنه أمسك فجأة وقد طاف بذهنه خاطر مباغت ملا نفسه شكا
واشاع الريبة في صدره . !

وطاف نفس الخاطر باذهان جميع القرويين الحاضرين . !

الم يكن الأمر غريباً ؟ وصول هذا السيد إلى القرية . وخلل
السيارة وأسلوبه في طرح الأسئلة على اصحاب الفندق . وطريقته
التي توصل بها إلى دخول المزرعة . !

اليس ت هذه الأساليب جميعها أسلوب رجل من كبار المحتالين قرا
تفاصيل الحادث في الصحف فابتدع هذه الحيلة ليؤذن له بدخول
المزرعة حتى يجرب حظله .. !

وأخيراً تكلم صاحب الفندق . نطق بما يجيش في صدور
الحاضرين :

- إنه والله رجل بارع الحيلة . ! لا شك انه اخذ الأوراق المالية من
جيب "ترينارد" بين سمعنا وبصرنا وهو يفتشه دون ان نغطن إلى
الأمر .

فصاح "جوسوت" :

- مستحيل . ! وإلا لغادر هذه المزرعة من هذه الناحية . من ناحية
البيت . قبل ان ننتبه إلى الأمر ونقبض عليه . ولكنه سار في هذا

الاتجاه ، إنه الآن يتريض في الحديقة !

فقالت الام 'جوسوت' تذكره :

- والباب الخلفي الصغير .. ؟

- مفتاحه معي لا يبرح جيبي .

- ولكنك أريته له .. ؟

- هذا صحيح .. غير اني استعدته منه على الفور ... وها هو ذا

معي ... في جيبي ..

ودس يده في جيبيه ليخرج المفتاح .

ثم اطلق صرخة حادة .

- يا إلهي .. ! اختفى المفتاح .. !

وانطلق يجري في الحديقة وفي إثره ابناؤه ونفر من القرويين .

وما اجتازوا من الحديقة نصفها حتى بدا في اسماعهم دوي سيارة .

لا ريب انها سيارة ذلك السيد الغريب ... الم يامر سائقه بان ينتظره

عند باب المزرعة .. ؟

وحين بلغ الرجال الباب طالعهم على الواحه الخشبية اسم مكتوب

بالطبائير بحروف كبيرة .

وكان هذا الاسم هو :

'أرسين لوبين'

وتحت الاسم بحروف صغيرة هذه الكلمات :

'إنك يا عزيزي 'جوسوت' شره بخيل وما فعلت في حياتك خيراً وما

أسديت إحسانا ولكن غداً سيصلك من إحدى الجمعيات الخيرية

خطاب شكر على مبلغ السنة الآلاف فرنك التي تبرعت بها للجمعية

وسيلقبونك بالمحسن الكبير . !

'الآن يمكنك أن تموت مطمئناً .. فستدخل الجنة .. !!'

'أرسين لوبين'

وكان 'جوسوت' خليقاً بان يشفي غليله لو أنه استطاع أن ينتقم من

'ترينارد' العجوز . ولكن القرويين الذين حضروا الحادث شهدوا بان
تفتيش المتهم لم يسفر عن شيء إذ لم يعثروا معه على الأوراق المالية
فبراه القاضي من تهمة السرقة ولكنه حكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر
جزاء اعتدائه على الام 'جوسوت' .

وحين اطلق سراحه وجد في انتظاره بباب السجن رجلا لا يعرفه .

ودفع الرجل إلى يد 'ترينارد' بظرف فيه أوراق مالية قيمتها مائة

فرنك .. والمائة فرنك عند رجل مثل 'ترينارد' كنز عظيم .

وكان 'ترينارد' سعيدا .

وكان 'لوبين' سعيدا .

ولم يكن هناك من شقي محزون إلا 'جوسوت' وزوجته وابناؤهما

الأربعة .. !

* * *

الفصل الرابع

ساد القرية دعر وفزع .

وكان ذلك في صباح يوم أحد .

غادر فلاحو قرية (سانت نيكولاس) الكنيسة بعد أن قضوا ساعة يتعبدون . وانتشروا في ساحة القرية يقصد بعضهم إلى داره وبعضهم إلى عمله .. وكانت تتلثمهم امرأة .

وانعطفت المرأة يمينا متجهة صوب الطريق العام .

وفجأة تنحط عن طريقها وتراجعت إلى الخلف في حركة سريعة وقد اطلقت من فمها صرخات مدوية تدل على الياس والقنوط .

وفي نفس تلك اللحظة تراتت للابصار سيارة ضخمة .. سيارة هائلة الحجم .. انبعثت امامهم بغثة كأنها شيطان مرید انشقت عنه الأرض . وكانت متطلقة بسرعة خارقة كان الذي يتولى قيادتها مجنون لا يبالي بالأرواح والناس ! !

وانفرط الناس الذين كانوا يعيشون صفوفًا متراسة .. وتناثروا في كل الأركان وقد اطلقوا صيحات مليئة بالفزع والياس .. تنحوا عن طريق السيارة وهم لا يصدقون أنهم نجوا .

واتجهت السيارة في سرعتها الخارقة صوب الكنيسة .. وحين أوشكت أن تصطم بها وتتحطم على درجها انحرفت فجأة . واتجهت إلى ناحية البيت المقابل . وقبل أن ترتطم به انعطفت مرة أخرى واتخذت سبيلها إلى الطريق العام . ثم دارت حول منعطف الطريق . واختفت بنفس السرعة التي ظهرت بها والناس من حولها نهول مصعقون ينظرون ولا يتكلمون . وقد ادهشهم أن مرت السيارة إلى جوار هذه الجموع دون أن تمس أحدا منهم بسوء .

ولكنهم راوا كل شيء .. !

راوا في داخل السيارة رجلا جالسا إلى عجلة القيادة .. وكان الرجل متسحا بمعطف من جلد الماعز وعلى رأسه قبعة من الفراء . وفوق عينيه نظارة كبيرة سوداء من نظارات القيادة تحجب الشطر الأكبر من وجهه .

وراوا أيضا المرأة التي إلى جواره .

على المقعد الامامي .. إلى جانبه .. امرأة متهالكة .. رأسها ملقى على مسند السيارة .. ووجهها غارق في الدم .

وكذلك سمعوا .. ! سمعوا صرخات رعب وفزع .. صرخات الم وعذاب .. !

وجمد القوم في اماكنهم .. واجمين .. مذهولين .. كأنما تراتت لأبصارهم صورة من صور الجحيم ..

غمغم أحدهم يقول :

- دم .. !

وكان الدم في كل مكان .. !

في وسط الميدان .. على .. قارعة الطريق .. عند المنعطف .. على درج الكنيسة .. !

وحين انطلق نفر من الرجال في إثر السيارة اتخذوا من الدماء المتناثرة أثرا يهديهم إلى الطريق الذي يبتغون ..

وكان جليا أن السيارة انطلقت في الطريق العام .. ولكنها اتخذت في سيرها طريقا عجيبا .. كانت تسير من جانب إلى جانب في خط متعرج .. كانت آثار العجلات المنطبعة على الأرض .. متعرجة بشكل أثار فزع من رآها .. في كل خطوة موت مترصد .. !

عجبا .. كيف استطاع قائد السيارة أن يتفادى الاصطدام بهذه الشجرة .. ؟ وكيف تمكن من الانحراف بسيارته في اللحظة المناسبة قبل أن نهوى إلى الخندق .. ؟

أي شيطان هذا الرجل الذي يقود السيارة .. ؟ أي مجنون معتوه .. ! أي سكران فاقد الرشد .. ! بل أي مجرم فزع خائف يقود سيارته على هذا النحو من الانعطافات والالتواءات .. ؟ !

وقال أحد الفلاحين :

- لن تجدي قيادة السيارة بهذه الطريقة في الغابة .. !

وقال آخر :

دون شك .. إنها جديرة بأن تنقلب وتتهشم .. !

وتقع غابة (مورج) على مسافة ثمانمائة متر من القرية .. والطريق

فيما بين الغابة والقرية مستقيم لا ينعطف إلا مرة واحدة انعطافا خفيفا متراجعا ، ولكنه حين يبلغ الغابة يتخذ رسما آخر . فتراه قد انعطف فجأة انعطافا حادا وتغلغل بين الصخور والاعشاب ، وما من سيارة استطاعت أن تدور في هذا المنعطف إلا بعد أن تهدئ من سرعتها تهدئة كبيرة تدنيها من السكون .. وقد اقامت البلدية عند هذه الناحية علامات تحذر بها السائقين من الإسراع تفاديا من الخطر الذي يهددهم .

وانتهى الفلاحون إلى رأس الغابة وهم يلهثون تعباً وقد تقطعت أنفاسهم لفرط ماركضوا .

وصاح أحدهم :

أرايتم مصداق قلبي ... !

- ماذا .. ؟

- انقلبت السيارة ... !

وفعلا كانت السيارة الليموزين منقلبة على جانبها وقد تهشمت وتداخلت أجزاؤها بعضها في بعض حتى اختلط شكلها وكانت تختفي معالمها .

وإلى جانبها جثة المرأة . !

على أن الشيء الذي أثار اشمئزاز الحاضرين .. الشيء الذي أهاج رعبهم وملا قلوبهم فزعاً ، إنما كان رأس المرأة . !

كان رأسها مهشما .. مسحوقاً .. تحت حجر ضخّم .. حجر ثقيل هائل كأنما رفعته قوة شيطانية ودقت به رأس المرأة المسكينة ...

أما الرجل الذي كان يتولى قيادة السيارة .. الرجل الذي يرتدي معطفاً من جلد الماعز .. فلم يكن له في المكان أي أثر .

لم يهتدوا إلى اثره في مكان الحادث .. ولم يهتدوا إليه في المواضع المجاورة .. وأغرب من هذا أن نقرأ من العمال كانوا قادمين من الناحية المقابلة قرروا أنهم لم يلمحوا الرجل ولم يلتقوا به في طريقهم إذن فقد اختفى الرجل في الغابة .. لاذ بها وتوارى في أرجائها . وانطلق رجال الشرطة في أنحاء الغابة .. يفتشون ويتقبنون يساعدهم نفر من الفلاحين ، ولكن التوفيق أخطاهم فلم يعثروا له على أي أثر .

وجاء قضاة التحقيق ورجال النيابة وأشرفوا على البحث بأنفسهم وبعد ثلاثة أيام في بحث متواصل لم يقفوا على شيء جديد ، يمكن أن يلقي ضوءاً على هذه المأساة العجيبة . بل إن هذه الأبحاث المتواصلة كانت على التقيض مفضية إلى مضاعفة الإبهام وزيادة اللغز تعقيداً . وثبت من التحقيق أن الحجر الهائل الذي سحق به رأس المرأة إنما جاء به من منحدر التل الذي يبعد عن مكان الحادث أكثر من ستة وثلاثين متراً . وقد استطاع القاتل أن يحمل الحجر الثقيل كل هذه المسافة في خلال دقائق قليلة ثم يهشم به رأس ضحيته .

وبعد ثمانية أيام من الحادث وقع حادث غريب .. لم تكن هناك ربيبة في أن القاتل ليس مختلفياً في الغابة . فلو أنه كان فيها لهان العثور عليه وهي صغيرة محدودة المساحة . ولكن بعد الأيام الثمانية كان للقاتل من الجراءة والجسارة ما جعله يحضر إلى رأس الغابة ويخلع معطفه المصنوع من جلد الماعز ويتركه هناك .

فلماذا فعل ذلك .. ؟ ولأي غرض .. ؟

لم يكن في جيوب المعطف شيء غير بريمة وفوطة .. فما معنى هذا كله .. !

أي سر ينطوي تحت البريمة والفوطة والتخلي عن المعطف .. ؟ اتصل رجال البوليس بالشركة التي صنعت السيارة فعرفوا أنها بيعت منذ ثلاثة أعوام إلى رجل روسي . وقرر مدير الشركة أن الروسي باعها بدوره إلى شخص لا يعرفه .. فمن هو المشتري الثاني .. ؟ سؤال لم يدر أحد له جواباً . فقد كانت السيارة منزوعة الرقم . وكان مستحيلاً أيضاً التعرف على شخصية المرأة القتيل .

هشم الحجر معالم وجهها حتى اختلط اللحم بالدم بالعظام .. أما ثيابها فكانت كتياب سواها من النساء . فلم يكن فيها أي أثر يهدي إلى صاحبته .

وشرع رجال البوليس بوجهون أبحاثهم إلى ناحية أخرى .. انطلقوا في الطريق المضاد الذي سارت فيه السيارة ومضوا يسألون الناس ويستجوبونهم .. ولكن איستطيع أحد أن يقرر أن السيارة كانت في الليلة الماضية قد اتخذت هذا الطريق .. ؟

فحصوا كل شبر من الأرض .. واستجوبوا كل إنسان !
وأخيرا .. بعد تحريات دقيقة متواصلة استطاعوا أن يعرفوا أن
سيارة ليموزين وقفت في مساء السبت أمام حانوت بقال في قرية
صغيرة تبعد ثلاثمائة وعشرين كيلومترا من (سانت نيكولاس) وعند
مفترق يتشعب من الطريق العام . ولقد ملا السائق خزان السيارة
بالبززين كما ابتاع بضع صفائح إضافية . وكذلك ابتاع كمية من المؤن
قطعة من اللحم وفاكهة وصندوقاً من البسكويت ونصف زجاجة من
الشراب من طراز النجمة .

وكانت هناك امرأة جالسة على المقعد الأمامي للسيارة إلى جوار
السائق . وقد لزمته مقعدها لا تبرحه . وكانت ستائر المقعد الخلفي
مسدلة ولكنها كانت تهتز ما بين لحظة وأخرى . وكان البقال موقنا من
أن هناك شخصا ما جالسا في المقعد الخلفي .
فإذا سلمنا باقوال البقال اشتد اللغز تعقيدا وتضاعف ما يكتنفه
من الإبهام . إذ لم يسفر التحقيق عن أي اثر يمكن أن يدل على وجود
شخص ثالث خلاف السائق والمرأة .

ولما كان السائق قد ابتاع مؤونة للطعام . فقد انصرفت همه المحققين
إلى اكتشاف ما صارت إليه هذه المؤونة .. وما الذي فعلوه بها ؟
وشرع رجال البوليس السري يبحثون من جديد في المنطقة الواقعة
بين حانوت البقال وقرية (سانت نيكولاس) .
وإذا صاروا على مسافة تسعة عشر كيلومترا من القرية .. على رأس
مفترق طريقين .. لقوا راعيا أرشدهم إلى حقل قريب تحجبه عن
الابصار أشجار ملتفة . ذكراً لهم أنه رأى في الحقل زجاجة فارغة
وبقايا طعام .

ولم يداخل الشرطة السريين أي شك فيما يسعون إليه .. نعم ..
وقفت السيارة في هذا المكان .. وفي الصباح تناولوا فطورهم ثم
تابعوا رحلتهم وكان الدليل الحاسم نصف زجاجة الشراب طراز
النجمة التي باعها البقال إلى سائق السيارة .. كانت الزجاجة
مكسورة بدقها بحجر أطار عنقها .. وعثرت الشرطة على الحجر الذي
استعمل في تهشيم الزجاجة . كما عثروا على العنق . والسدادة

المصنوعة من القصدير لا تزال مثبتة فيها . وكانت هناك علامات تدل
على أن محاولة بذلت لانتزاع السدادة بالطريقة المألوفة .
وواصل رجال الشرطة أبحاثهم حتى انتهوا إلى خندق يحاذي
الحقل ويتصل بالطريق العام وينتهي بنبع ماء صغير تخفيه أشجار
ملتفة .

وملات خياشيمهم رائحة نكتة . فإزاحوا الأشجار فإذا بهم يرون
تحتهما جثة ..
جثة رجل هشم رأسه تهشيعا حتى استحال شببها بقطعة من
العجين !

وكانت ثياب القتيل مؤلفة من جاكته وبنتلون أسودين . وكانت
الجيوب فارغة ليس فيها ورقة أو بطاقة أو ساعة !
ودعي البقال ومساعده .. واستطاعا بالرجوع إلى الثياب أن يقرأ
أن القتيل هو سائق السيارة (الليموزين) الذي ابتاع البززين والمؤونة
مساء يوم السبت المعهود .

وهكذا تفتحت للبحث نواح جديدة واتخذ التحقيق وجهة أخرى : لم
تعد نظرية المحققين قائمة على أن عماد الماساة رجل وامرأة قتل
أحدهما صاحبه . وإنما انقلب الأمر فصار أبطال الفاجعة ثلاثة :
امرأة ورجلين وقد قتل أحد الرجلين صاحبه ثم ثنى بالمرأة .
ولم يكن هناك شك في أن القاتل هو ذلك المسافر الثالث الذي كان
جالسا في المقعد الخلفي من السيارة .. ذلك الرجل الذي كان يحرك
ستائر السيارة حركة أوقعت في روع البقال أن هناك شخصا في الجزء
الخلفي من السيارة .

لقد قتل السائق وافرغ جيوبه وأصاب المرأة بجرح وحملها معه في
السيارة إلى .. إلى الموت !

* * *

إذا ما أسفر التحقيق في إحدى القضايا عن اكتشافات جديدة .
وأئلة غير منتظرة . وقع في روع المحققين أن الحقيقة أوشكت أن
تتكشف وأن معميات اللغز ستبتد . ولكن لا . بل ذلك وهم لا اثر له من
الصحة !

لم يزد الأمر على أن وضعت الجثة الثانية إلى جانب الجثة الأولى .
باكتشاف جثة القتيل اضعف لغز جديد إلى اللغز القديم ، وارتفعت
التهمة عن كاهل شخص فوقعت على كاهل شخص آخر ، وكان هذا كل
شيء .

فبخلاف هذه الوقائع والاكتشافات المادية الثابتة لم يكن هناك غير
ظلام دامس .. طلاسم معقدة لا سبيل إلى استكناه أسرارها :

ما اسم المرأة القتيلة ؟

ما اسم الرجل القتيل ؟

ما اسم القاتل ؟

كل هذه أسئلة دارت في خاطر دون أن يحير عنها جوابا . !

وماذا صار إليه أمر القاتل ؟ كيف استطاع أن يختفي بمثل هذه
السهولة ؟

البيست هذه ظاهرة تثير الاستغراب ، ولقد كانت في الواقع ظاهرة
أدنى إلى المعجزات . لقد اختفى ولم يَختف .. هرب ولم يهرب ، الم
يعد بعد أيام إلى مكان الحادث فيخلع معطفه ويتركه هناك ؟

على أن هذه الرجعات قد تكررت .. في المرة الأولى ترك معطفه ، وفي
المرة الثانية ترك قبعته المصنوعة من الفراء ، وفي المرة الثالثة ترك
نظاراته وكانت مهشمة يعلوها الطين ، وكانت هذه أغرب زيارته الثلاث
لقد أمضى رجال البوليس ليلة يقظة عند الصخرة القائمة على رأس
الغابة ، وفي الصباح اندهشهم أن يروا النظارة عند منعطف الصخرة . !
فكيف جاء القاتل وانصرف دون أن يروه أو يشعروا به ؟

وأهم من هذا كله : لماذا حضر ؟

حار الناس في الأمر .. وما ترددت هذه القصة إلا وسرت رعدة في
أبدان السامعين والمتكلمين .. كانوا يشعرون جميعا بأن هناك شيئا
خارقا .. شيئا شاذا .. يسيطر على الموقف .. سيكون القاتل شيطانا . !
ولقد نزل المرض بالقاضي الذي يتولى التحقيق فاعتزل العمل .
وبعد أربعة أيام أعلن سلفه في صراحة أنه عاجز عن إزاحة معميات
هذا اللغز .

وقبض على صعلوكين . واطلق سراحهما في الحال . ! وروقب

صعلوك ثالث ولكنه لم يعتقل . لم يكن هناك أي دليل ضده .. بل لم تكن
هناك شبهة من دليل !

وقصارى القول إنها كانت قضية معقدة .. مربكة .. محيرة .. كانت
لغزاً مربكاً .

ولكن كلمة عارضة كانت سبباً في فك الطلاسم . أو بعبارة أخرى .
كانت سبباً في سلسلة من الحوادث أفضت إلى حل اللغز . فقد أوفنت
إحدى صحف باريس الكبرى أحد محرريها إلى مكان الحادث لدراسة
ظروفه فكتب الشاب مقالا اختتمه بهذه الجملة :

« وهانذا أكرر القول بأنه لا مفر لنا من الانتظار . ينبغي أن ننتظر
ظهور حوادث جديدة وحقائق جديدة . يجب أن ننتظر حادثاً يميظ
اللام عن هذه الأسرار الغامضة . أما والحال على ما هي عليه الآن فكل
بحث جديد إنما ينطوي على تضيق للوقت . إن الحقائق الراهنة التي
لدينا لا تصلح حتى لإبداء فرض معقول . فنحن في ظلام دامس ، ظلام
يكتنفنا من كل ناحية ويأخذ علينا المسالك .

الآن لا مجال للعمل .. ولا مجال لبحث جديد .. ولو أن شرلوك نفسه
تولى بحث هذه القضية لعاد بالإخفاق والخيبة . وإننا نذكر جميعاً ما
أبداه 'أرسين لوبين' من براعة وحذق عجيبين في إمطة اللام عن لغز
ذلك اللص الخفي الذي سرق الستة آلاف فرنك من المزارع 'جوسوت' ..
نعم .. نذكر ما فعله 'لوبين' بالإعجاب . ولكن فليظهر لنا براعته في
هذا الحادث إن شاء .. إنني اتحدها بأنه سيقف عاجزاً مكتوف اليدين
أمام هذا اللغز .. !

نعم .. إنني اتحدى 'أرسين لوبين' .. وإنني لموقن بأنه سيفر هارباً من
هذا التحدي .. »

بهذه الكلمات التي جاءت عفواً اختتم المحرر مقاله .

وفي اليوم التالي نشرت هذه الصحيفة بالذات البرقية التالية :

« كثيراً ما قبلت التحدي الذي يوجه إلي .. ولكن من العار أن أقبل
التحدي في أمور نافهة حقيرة كالذي نحن بصدده .. إن مأساة غابة
(مورج) ليست لغزاً إلا عند الأطفال .

'أرسين لوبين'

وعقب المحرر على هذه البرقية بقوله :

« إننا ننشر هذه البرقية على سبيل التفكه فإن من الجلي أنها مدسوسة على 'أرسين لوبين' .. لسنا ننكر أن 'لوبين' ولوع بالمزاج العملي ولكننا نعتقد أنه أبعد الناس عن مثل هذا الإدعاء والغرور ، وبعد يومين نشرت نفس الصحيفة خطاباً مطولاً مسهباً من 'أرسين لوبين' .

وفي هذا الخطاب أفاض 'لوبين' اللثام عن اللغز . وبسط نظريته في جلاء .

والذي بما سد الثغرات المفتوحة .

وهذا هو نص الخطاب بحدافيره :

« سيدي العزيز :

لقد تحديتني فعرفت كيف تثيرني وتدفعني إلى العمل ! هذه هي ناحية الضعف مني ، لقد تحديتني .. وإني لقابل هذا التحدي .

واستهل حديثي بأن أكرر عليكم قولي : إن مأساة غابة (مورج) ليست لغزاً إلا عند الأطفال .. والدليل على بساطته .. سيبدو لكم حين أشرح الظروف والملابسات المختلفة للحادث .

واستطيع أن أجمل رأيي في هذه العبارة : إذ بنت إحدى الجرائم في نظرنا شاذة خارقة للمعقول .. بنت محيرة لا يمكن أن تصدر عن إنسان وإذا بدا المعقول منحصراً في الأخذ بغير المعقول . فلنعمد في تفسيرها إذن إلى بواعث تخرج عن نطاق القدرة البشرية .

استرعت بصري منذ البداية هذه الظاهرة العجيبة المرتكزة على الشنوذ ..

فلدينا أولاً ذلك الخط الملتوي المتعرج الذي اتخذته السيارة في سيرها . حتى ليقع في الإنهتان أن الذي كان يتولى قيادتها مبتدئاً لا يحترف فن القيادة .

ولقد ظن بعض الناس أن سائق السيارة إما مجنون أو سكران .

وهذا في ذاته افتراض معقول ... ولكن لا الجنون ولا السكر يمكن أن يعدا تعليلاً معقولاً لهذه القوة الخارقة التي أيداهما القاتل في حمل حجر هائل مسافة ستة وثلاثين متراً وفي خلال دقائق قليلة ليهشم به

رأس المرأة المسكينة .

هذه العملية تقتضي قوة بدنية خارقة .. ولذلك لا أتردد في أن أعد هذه الظاهرة دليلاً ثانياً على ما يلبس هذه المأساة من شنوذ وخروج على الأوضاع الطبيعية المألوفة .

ولماذا يجشم القاتل نفسه بثقولة نقل هذا الحجر الهائل ليجهز به على الضحية وقد كان في وسعه أن يحقق ما يصبو إليه باستعمال أي حجر من الأحجار الصغيرة المتناثرة حوله .. ؟

وثمة سؤال آخر لابد من طرحه : كيف نجا القاتل من الموت بعد أن انقلبت السيارة ودارت على نفسها أكثر من مرة ؟ وكيف اختفى .. ؟ ولماذا خلع معطفه وتركه مكان الحادث .. ؟ ولماذا ترك قبعته في يوم آخر .. ؟ ثم نظارته في يوم ثالث .. ؟

كلها أعمال خارقة غير عادية ... أعمال غريبة لا نفع فيها .. ؟

ولماذا اجلس المرأة بجواره على عجلة القيادة وهي غارقة في دماثها والناس جميعاً يرونها ... وقد كان في وسعه أن يجلسها على المقعد الخلفي والستائر مسدلة فلا تقع عليها عين .. أو كان في وسعه أن يقذف بها إلى الخندق كما فعل بالقتيل . ؟

للمرة الثانية أكرر القول بأن هذا التصرف من القاتل ينطوي على غباوة عجيبة .. وهو يعد عمل لا نفع فيه إن لم يكن محققاً للضرر ..

فكل ناحية من نواحي هذا الحادث مطبوعة بطابع السخافة والغباوة .. كل ظاهرة فيها تشير إلى ما كان يعرف القاتل من تردد .. وغباوة .. وسخافة .. إن له بلاهة كبلامة الأطفال أو المعتوهين .. ووحشية تشبه وحشية الحيوانات الضارية .

فلننظر مثلاً إلى زجاجة الشراب .. لدى القاتل بريمة يستطيع أن يزيل بها سداة الزجاجاة .. لقد عثروا على البريمة في جيب المعطف المصنوع من جلد الماعز .. فهل استعملها القاتل في رفع السداة . ؟

نعم استعملها .. وأية ذلك أنهم وجدوا بالسداة أثراً تدل على أن هناك محاولة بذلت لرفعها بالطريقة العادية المألوفة .. ولكن عملية إزالة السداة كانت بالنسبة إلى القاتل معقدة مربكة فما كان منه إلا أن هشم عنق الزجاجاة بقطعة من الحجر .

دائما الحجر .. أرجوكم أن تلقوا بالا إلى هذه الظاهرة .. الحجر هو سلاح الوحيد .. يقتل به ضحاياه .. وبه يزيل اعناق الزجاجات .. إنه السلاح الوحيد الذي يحسن استعماله .. السلاح المألوف لديه .. قتل الرجل بحجر .. وقتل المرأة بحجر .. وأزال عنق السداة بحجر ! ظاهرة جديدة بالالتفات ..

إنه وحش .. إنه متوحش .. عقل ملئ .. مرتبك ..

عراه فجأة الجنون ! فما السبب ؟ الشراب بون شك هو السبب .. فبينما كان السائق وزميلته يتناولان الفطور في الحقل احتسى القاتل زجاجة الشراب .. احتساها جرعة واحدة فافقته الصواب .. خرج من السيارة وهو مرتد معطفه بعد أن أعياء فتح الزجاجة وهشم عتقها على حجر وشربها .. تلك هي القصة كلها ..

أفقدته الشراب الصواب فراح يضرب .. ويهشم .. ويحطم .. بلا تعقل ولا روية ولا سبب ..

ثم استولى عليه الخوف .. أدرك مغبة عمله .. عرف أن القصاص سيناله .. فما كان منه إلا أن أخفى جثة الرجل في الخندق .. وكالآعبياء البلهاء حمل المرأة الجريحة معه في السيارة وانطلق هاربا ..

لم يكن يحسن قيادة السيارة .. ولكن السيارة في نظره كانت تمثل الأمان والنجاة .. كانت رمزاً للفرار والسلامة ..

والآن قد يطرح بعضكم هذا السؤال : والمال المسروق ؟

المحفظة المختلفة ! لقد وجدت جيوب القاتل فارغة مقلوبة .. ! وجوابا عن هذا السؤال أقول : إنه ليس من المحتم أن يكون القاتل هو نفسه اللص الذي سرق جيوب القاتل .. ! ألا يجوز أن يكون السارق صعلوكا شم الرائحة النتنة المنبعثة من الجثة فسار إليها واستولى على ما في جيوبها ؟

قد يقول أحدكم : ولكن لماذا لم يقبض على القاتل ما دام مختبئا في الغابة على مقربة من الصخرة ؟ وكيف يختبئ طيلة هذه المدة وهو في حاجة إلى الطعام والشراب ؟

ويلوح لي من توجيهكم لي هذا السؤال أنكم لم تفهموا حق الفهم ما أعني .. ولذلك أود أن أوجز لأصل إلى الهدف مباشرة بلا لف ولا دوران .. فليكرم سادتنا رجال البوليس بالأخذ بنصيحتي ..

ابحثوا عن هذا الوحش .. في الغابة .. ويكفي أن تبحثوا على بعد مائة متر من الصخرة ..

ولكن لا تبحثوا في الأرض .. وإنما في السماء .. !!

نعم .. لا تمشوا وعيونكم إلى الأرض وإنما ارفعوها إلى السماء .. لا تنظروا فوق الأغصان القريبة الدائية التي يستطيع الإنسان أن يتسلقها بسهولة وإنما انظروا إلى الأغصان الباسقة العالية التي لا يبلغها الإنسان مهما يحاول .. ثم ارموا بإبصاركم إلى أعلى أشجار البلوط والصنوبر .. هناك ستجدون الوحش القاتل مختبئا ..

إنه هناك .. قابع .. حزين .. ينتظر دون أن يفهم عودة صاحبيه .. عودة المرأة والرجل اللذين قتلها في ساعة من ساعات الجنون .. ينتظر دون أن يجرؤ على الهبوط إلى الأرض ..

واعلموا أنه لن يهبط من تلقاء نفسه .. فاحملوا معكم مسدساتكم واطلقوا عليه النار ولكن لا تقتلوه فإنه مسكين غبي أبله يستحق منكم الرحمة :

«يؤسفني أن لدي من دواعي العمل ما يضطرني إلى البقاء في باريس وإلا لاسهمت بنفسي في اكتشاف مخبأ القاتل ، ولكني موقن بأن البحث أصبح هينا بعد ما تكرت ، فإذا تكرم سادتي رجال البوليس باتباع مشورتي ظفروا بالقاتل في خلال ساعة أو ساعتين .
«المخلص : أرسين لويين»

* * *

ولكن « سادته رجال البوليس » لم يتكروا باتباع هذه المشورة بل استهانوا بالأمر إلى درجة جعلتهم يسخرون من المقال وكتب المقال وقد وقع في روعهم أنه يريد أن يهزأ بهم ..

غير أن نفراً من أهل القرية أخذوا بهذا النصح .. حملوا بنادقهم ومضوا إلى الغابة وطلقوا يبحثون .. بحثوا وعيونهم إلى السماء وليست إلى الأرض .. وكانوا يطلقون الرش بين الأغصان الملتفة

المتشابهة التي لا سبيل إلى اكتشاف ما يختبئ في داخلها .
وبعد نصف الساعة راوا القاتل .

أطلقوا عليه رصاصتين فهوى من غصن إلى غصن حتى استقر على الأرض .

ولم تكن الرصاصتان قاتلتين فأخذه حياً . !

وفي مساء ذلك اليوم ظهرت إحدى صحف باريس التي لم يبلغها
خبر اعتقال القاتل وفيها هذه الفقرة :

«بذل البوليس أقصى جهده في البحث عن مسيو ومدام 'براجواف'
اللذين وصلا إلى (مرسيليا) منذ ستة أسابيع واستاجرا سيارة من
طراز (الليموزين) ليستعملها في تنقلاتهما وأسفارهما ، وكانا قبل
ذلك يقيمان في استراليا ، وقد أمضيا فيها بضعة أعوام لم يزورا في
خلالها أوروبا .

وقد كتب مسيو 'براجواف' إلى مدير حديقة الحيوان يبنئه بقومه ،
ويخطر به أنه أتى معه بمخلوق عجيب من نوع نادر مجهول يتعذر على
المرء أن يقرر إن كان إنسانا أو حيوانا .

«ويعتقد مسيو 'براجواف' الذي يعد من كبار علماء الآثار القديمة أن
هذا المخلوق هو القرد المنقرض .. أو بعبارة أخرى ، الإنسان القرد،
الذي تتحدث الأساطير عن وجوده دون أن يقوم على ذلك برهان علمي
قاطع . !

وهذا الحيوان ذكي دقيق الملاحظة ، وكان يقوم بخدمة مولاه في
أثناء إقامته في استراليا ، كما اعتاد أن ينظف سيارته ، بل لقد حاول
أن يتعلم قيادتها .

«والسؤال الآن هو : أين مسيو ومدام 'براجواف' . ؟ لقد غاب
(مارسيليا) ولكنهما لم يصلا إلى باريس بعد ، وأين هذا المخلوق
العجيب الذي بين الإنسان والحيوان ، إذ من الثابت أنهما جاءا به
معهما .

هذا وسنوافي القراء بما تسفر عنه أبحاث البوليس في هذا
الصدء .

ولكن الجواب على هذا السؤال أصبح هينا بعد الخطاب الذي أذاعه

'أرسين لوبين' فالقاتل والمخلوق العجيب واحد ، أم ينبغي أن نقول
حيوانا واحدا ، ؟ .. ولو أنك ذهبت إلى حديقة الحيوان في باريس
لرايت الوحش قابعا في أحد الأقفاص وقد لقيوه ، بالنجمة، نسبة إلى
زجاجة الشراب التي من طراز النجمة والتي كان احتساؤه لها سببا
في هذه الفاجعة .

وهو في الواقع قرد ، ولكن له من خلق الإنسان وطباعه الغدر
والخيانة والقسوة والكسل والشره وحب المشاكسة .

وهكذا أصاب 'لوبين' في استنتاجاته .. إن تصرفات القاتل تنطوي
على وحشية وبلاهة وقلّة تبصر .. تصرفات حمقاء قاسية لا يمكن أن
تصدر عن إنسان عاقل .. وهو بعد لا يمكن أن يكون إنسانا ، إذ امتاز
بتلك القوة الجبارة التي مكنته من أن يحمل الحجر الهائل مسافة
كبيرة على حين لا يقوى على حمله أقل من .. ستة رجال فهو إذن
وحش أفلت من عقاله وأفقده الشراب الصواب .

لقد أضاف 'لوبين' بإماطته اللثام عن هذا اللغز مجداً إلى مجده
السابق ، مجداً أقرت به جميع الصحف بلا استثناء ، واعترف به كل
إنسان عدا .. عدا 'جانيمار' و'بيشو' . !

والصدفة بين 'جانيمار' و'بيشو' من ناحية و'أرسين لوبين' من
ناحية أخرى مضرب الأمثال !

الفصل الخامس

«جيدو ماسكيه» اسم اقترن بغرابية الاطوار ، وشذوذ الطبع ، والإقدام على اعمال لا يمكن أن توصف إلا بالحماسة وسوء التصرف . فمن ذلك أنه انطلق مرة بسيارته في شوارع الحي اللاتيني بسرعة لا تقل عن حوالي ٦٦ كم .. وهي غاصة بالسائلة .. مزدحمة بالخلق .. فبتر سيقان اثنين من المارة .. وهشم مصباحا وعربة .. وسيارته .. ! ودافع عن نفسه بأنه كان ثملا .. ولكن لم تكن هناك ريبية في أنه كان صاحبيا مستقيما حين انتشلوه من تحت حطام السيارة سليما معافى فلم يغن هذا الدفاع عنه شيئا .

وعلى الرغم من تضارب التقارير الطبية حكم عليه بالسجن قاض عنيد قاسي الفؤاد .. ورفع «جيدو ماسكيه» استثناءا عن الحكم .. ومثل أمام محكمة الاستئناف ينصره نفر من اكبر المحامين .. فاستطاعوا بالبلاغة والمنطق .. والتهويش ايضا .. ان يلغوا الحكم الابتدائي وينظفروا بالبراءة .

وانتصر «جيدو ماسكيه» . وهناه الناس .. وقد نسوا انه ازهق ارواحا .

وتعرف البيئة المسرحية بأنه نصير الممثلين .. والممثلات بنوع خاص .. وقد اعتاد ان يقيم لأبناء المسرح وبناته مآذب متعددة في شتى المناسبات تسهب الصحف في وصفها والإشارة بالداعي إليها .. ولكن المطلعين على بواطن الأمور يؤكدون لك أنه اعتاد أن يقيم مآذب أخرى لا تشير إليها الصحف بكلمة واحدة .. مآذب لا يدري أحد عنها شيئا .. مآذب لا تدعى إليها غير ممثلة واحدة : ! ويقال : إن هناك ظاهرة عجيبة تحدث في جميع هذه المآذب السرية .. وتلك الظاهرة هي ان يصاب جهاز الإضاءة بالعطب .. فإذا بالأنوار تنطفئ فجأة .. ويظل الداعي وصاحبه في الظلام !

وفي إحدى الليالي وقعت مأساة كان «جيدو ماسكيه» بطلها .

لقد كتم البوليس الفرنسي تفاصيل الحادث عن الصحف والناس ، ولكنه لم يستطع أن يكتم نبا مصرع الراقصة الحسنة التي وجدت

صريعة على الإفريز أمام أحد الفنادق .. إذ يؤكدون للصحف ان الراقصة اخطأت .. فحسبت ان النافذة الكبيرة المصنوعة على الطراز الفرنسي بابا مفضيا إلى غرفة أخرى ، «ودخلت» فهوت إلى الإفريز . ! ولكن الشيء الغريب أن أحدا من المحققين لم يكلف خاطره بان يطرح هذا السؤال : وكيف تخطت الفتاة سياج النافذة . ؟ ربما ظنت النافذة بابا ، ولكن كيف لم يردھا السياج القائم في طريقها إلى الصواب ؟

سؤال واضح .. سؤال بديهي .. كان ينبغي ان يطوف بخاطر المحققين .. ولكنهم غفلوا عنه .. غفلوا عنه إكراما لخاطر «جيدو ماسكيه» . !

غير أن «أرسين لوبين» لم يغفل . !

كان «أرسين لوبين» نازلا في نفس الفندق .. فشهد الحادث بنفسه قبل ان يطالع تفصيلاته في الصحف . وبطبيعة الحال لم يكن «لوبين» نازلا في الفندق تحت اسمه الحقيقي ..

كان يتحل اسما آخر يستحيل على «جانيمار» و«بيشو» ان يكشفوا حقيقته .

وحفظ التحقيق بعد بضع ساعات . ونسي «جيدو ماسكيه» أنه كان السبب في هلاك هذه الراقصة الحسنة .. بل لقد نسي كل شيء عن الحادث ، ولم يعد يذكره إلا كما يذكر الإنسان حلما بعيدا مضطربا . غير أن «لوبين» لم ينس .

ورجع «جيدو» إلى إقامة مآذبه وحفلاته لبنات المسرح وأبنائه ورجع إلى لهوه ولعبه .. ورجع إلى حياة العريضة التي ألفها .

وعلى مفض سكت الناس عن سيئاته وأعضوا .. وكثيرا ما يغضي الناس عن سيئات اصحاب الملايين .. ولقد كان «جيدو» من اصحاب الملايين .

في صباح يوم من ايام شهر نوفمبر حمل الخادم إلى «جيدو ماسكيه» طعام الفطور على صينية مطعممة بالذهب ، وضعها على

منضدة صغيرة إلى جانب الفراش .

وكان فوق الصينية خطاب يحمل طابع لندن .. وفي ركن منه هذه الجملة :

«خاص - لا يجوز فضه بمعرفة السكرتير،

وانتصب "جيدو" جالسا في الفراش .. ورد شعره إلى الوراء ..

وتناول الخطاب فقلبه بين يديه وهو يتنأب . ثم ادناه من فمه يشمه . خطاب خاص . ؟ ولا يجوز فضه بمعرفة السكرتير . ؟ إنه إذن من امرأة ..

امراة تحرص على الا يطلع على سرها المفضوح سكرتير "جيدو" ! !

ولكن الخطاب لم يكن معطراً ! ! ولم يكن من امرأة ! !

لم يكن في داخل الغلاف إلا قطعة صغيرة من الورق كتبت عليها بضعة سطور بالالة الكاتبة .

وكان هذا نصه : -

في يوم ١٨ أكتوبر ذهبت إلى (ليون) ونزلت في فندق «بارسيل» وكان في رفقتك جماعة من الاصدقاء . وكان مع هذه الجماعة راقصة فرنسية في عنقوان شبابها لم تكن على علم بما طبعت عليه من خلق الهم .

وقد اضطرت المسكينة أن تنتحر فراراً منك . فراراً من مغازلاتك الاليمة المجرمة . ! لقد القت بنفسها من نافذة الفندق فبلغت الأرض جثة هامدة . ! واغلب ظني أنك حاولت الاعتداء عليها او تقبيلها كرها فرمت بنفسها إلى الطريق وأثرت الموت .

لو كان في هذه الدنيا انصاف حقيقي لأرسلك القضاة إلى المشنقة ولكنهم تستروا عليك وتكتموا امرك لأنك من اصحاب الملايين .

ولكني لن أنستر عليك .. ! فاحذر أن اقوم مقام العدالة . !

«تعرفني ؟ يحتمل الا تكون قد سمعت باسمي إلا عرضاً فإن حياة اللهو التي تنغمس فيها تكاد تجعلك معترلاً العالم .

إنني ادعى «أرسين لوبين» .. ومهمتي في هذه الدنيا الانتقام ممن يفلتون من العدالة .. إنني شخص يتلافى النقص الذي يتردى فيه الناس وإدارة البوليس السري تبحث عني منذ سنوات . ولو أنك اتصلت بصديقي «جانيمار» او «بيتشو» لحدناك عني طويلاً . فسلهما

إذا شئت .

إنك رجل غني واسع الثراء . وكان ينبغي أن تعوض اهل الفتاة التي كنت انت سببا في مصرعها . إن لها اما مريضة في حاجة إلى من يعولها . ولها اخ صغير في حاجة إلى من ينفق على تعليمه . ولهذا أرجو أن ترسل إلى الام شيكا بخمسين الف فرنك وشيكا آخر بمائتي الف فرنك تبرعا منك لجمعية إعانة الممثلين والممثلات .

سامهلك شهراً لتدفع ربع المليون فرنك تكفيراً عن جرمك .

وإلا .. فالويل لك مني .. من قتل يقتل فاحذر . !

«أرسين لوبين»

ولم يكن في الخطاب شيء اكثر من هذا .

قراه «جيدو ماسكيه» مرة بعد مرة دون أن يقف على سر جديد .

لم تكن هذه اول مرة سمع فيها اسم «أرسين لوبين» ولكنه لم يكن يعرف عنه إلا النثر اليسير . لص بارع حير رجال البوليس . ! وهذا كل شيء . وإنه ينطبق على كثير من اللصوص .

ربع مليون فرنك . ! إن هذا اللص مخبول بلا ريب . او لعلها مزحة مازح خفيف الروح .

وقال «جيدو ماسكيه» متسائلاً :

- ولكن من يكون أرسين لوبين هذا . ؟

وكان خادمه خبيراً يمثل هذه الشؤون فاجاب في إيجاز :

- إن «أرسين لوبين» يا سيدي شيطان . !

- شيطان .. ؟ !

- نعم شيطان .. إنه .. إنه .. إنه شيطان !

ولم ير خيراً من هذه الكلمة للتعبير عما يجول في ذهنه .. !

وضحك «جيدو» وقال :

- إنني لا أخاف الشياطين لأنني لا اومن بوجودها .. !

- ولكن «أرسين لوبين» يا سيدي شيطان من نوع آخر .. !

- ولو .. ؟ !

والقى «جيدو ماسكيه» نظرة فاحصة على الخطاب وغلافه ثم هز كتفيه بلا احتفال وهم بان يمزقهما ويقذف بهما إلى سلة المهملات

لولا ان طرا خاطر بنهنه .

- لم لا اخطر إدارة البوليس بالأمر ... ؟ !

وأمر سكرتيره بإرسال الخطاب إلى إدارة البوليس .

وكان 'جيدو' خليقا بان ينسى هذا الخطاب العجيب لولا أنه وجد في انتظاره عند عودته إلى داره كهلا ذا ملامح قاسية وعينين تتوقدان نكاء ورفع الكهل قبعته يحيي المليونير الشاب وقال :

- إنني 'جانيمار' .. كبير مفتشي البوليس السري .

- أهلا بك يا مسيو 'جانيمار' .. أجنث تزورني بسبب هذا الخطاب؟

إنه مزحة مازح فيما اظن . ؟ إنك دون شك لا تعلق على الأمر أية أهمية ؟ .

فهز 'جانيمار' رأسه وقال في تؤدة :

- بل إنني اعلق عليه اكبر الأهمية . !

- ماذا تقول . ؟

- أقول : إنني رصدت اثنين من خيرة رجالي للسهر على حياتك وحراستك .

فحلق إليه 'جيدو' ماسكيه في إنكار وقال :

- أنتكلم جادا . ؟ إنن فقد كان خادمي على حق . ! قال لي خادمي :

إن هذا المدعو 'أرسين لوبين' شيطان رجيم . !

فهز 'جانيمار' رأسه هزة الخبير العارف وقال :

- إنه أكثر من شيطان . !

- لقد لاحظ أن الخطاب يحمل طابع لندن فهل ..

فقال 'جانيمار' مقاطعا :

- نعم .. إن 'أرسين لوبين' في لندن الآن .

- ولكنه لن يجرؤ على الحضور إلى فرنسا . !

- إنه يجرؤ على كل شيء . ! في وسعه حين يشاء أن يدخل إدارة الأمن العام ويجلس إلى مكتب المدير دون أن يعتريه الخوف .

- ولكن كيف هذا . ؟ الا يقيم وزنا لرجال البوليس . ؟ الا يقيم وزنا لك .. ؟ .

فهز 'جانيمار' رأسه في حزن وقال :

- إن 'أرسين لوبين' هو اللص الوحيد الذي لا يقيم لي وزنا . !

- ولكن كيف تصبر عليه ؟ لماذا لا تقبض عليه . ؟

- لماذا لا أقبض عليه . ؟ إنها يا سيدي حكاية يطول شرحها ..

أهون عندي أن أقبض على الشيطان من أن أقبض على 'لوبين' .. !

- هذا عجيب .. !

ومضى 'جانيمار' يقص على 'جيدو' ماسكيه بعض حوادث 'لوبين'

الأخيرة . فلما فرغ من حديثه كان القلق قد استولى على المليونير

وعراه الإنزعاج .

وقال في صوت يتهدج اضطرابا :

- إنه شيطان .. ! وقاتل أيضا . !

فقال 'جانيمار' مقاطعا :

- ربما كان قاتلا وربما لم يكن . عهدي بـ'أرسين لوبين' انه لا يسفك

دما .. وإذا كانت قد وقعت جرائم قتل في بعض الحوادث المتصلة به

فإن رجال عصابته هم الذين ارتكبوها بلا نزاع .. ولست أشك في أنه

غضب عليهم وأقصاهم .. ومن النادر أن يرتكب 'لوبين' جريمة قتل ..

إلا إذا كانت العدالة قد أفلتت مجرما يستحق أن يشنق .. فإنه في هذه

الحالة يتولى حكم العدالة . !

فقال 'جيدو' في انزعاج :

- وهل اقامته العدالة ممثلا لها . ! إنه يعد قاتلا على أي الأحوال .

فقال 'جانيمار' مؤيدا :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. ولكني لا اکتف عنك اني في مثل هذه الأحوال

أقر 'لوبين' على ما فعل ولا تاخذني رحمة بالقتيل .. !

فهتف 'جيدو' ماسكيه :

- إنك من رجال البوليس يا سيدي فكيف تقول هذا . ! أولى بك بدل

أن تؤيد هذا اللص وتدافع عن أعماله . أن تعنى باعتقاله . ! هذه

فضيحة صارخة . ! إنني ما سمعت في حياتي شيئا من هذا القبيل . !

وتناول 'جيدو' الرسالة وبسطها أمام عيني 'جانيمار' وقال :

- وما معنى هذه الجملة يا سيدي .. ؟ « من قتل يقتل فأحتر . ! »

- معناها جلي لا يحتاج إلى تفسير . !

- ولكن .. ولكن حادثة (ليون) وقعت قضاء وقدرًا .. لقد أخطأت الفتاة المنكودة الحظ فحسبت النافذة بابا فهوت إلى قارعة الطريق .
فقال 'جاننيمار' في هدوء :

- إنني أعرف كل شيء عن هذا الحادث يا .. مسيو 'ماسكيه' . وأرى من الخير .. من الخير لك ألا تسألني في هذا الموضوع !
وكانت في لهجته نبرة ذات مغزى !
ثم أردف يقول :

- ولكن دعني أصارحك برأيي في الرسالة التي جاعتك .. ليس بين رجال البوليس من هو أعلم مني بـ 'أرسين لوبين' .. ولذلك اعتقد اعتقادًا جازمًا أنه سيبر بوعده ! .. أعني سينفذ تهديده ! .. إن 'أرسين لوبين' هو اللص الوحيد الذي لا يخلف كلمته ..

- وأين البوليس إذن .. ! أين الاحتياطات التي ينبغي أن تتخذها بصفتك كبير مفتشي البوليس السري ؟!
فقال 'جاننيمار' في هدوء :

- سأتحذ يا سيدي جميع الاحتياطات بطبيعة الحال . ولكن ليست هذه أول مرة اتخذت فيها الاحتياطات ضد 'لوبين' .. إنه متوقد الذهن حاد الفكاهة ، عظيم الدهاء !
- أتعترف بعجزك ؟ !

- وما حيلة الإنسان أمام الشيطان ١ . ٩
- سيدي .. إنك ..

- إن 'لوبين' يا سيدي أبرع من عرفت في التنكر .. يمكنك أن تسميه الرجل ذا المائة وجه ، .. لقد تسنى لي أن أرى وجهه مرة واحدة بلا تنكر .. ولكن ما الفائدة وهو لا يكاد يخرج إلا متنكرًا . ربما غادرتك الآن فجاك 'لوبين' نفسه متنكرًا على صورتي .. !
- وما العمل الآن ؟ ..

- لقد عملت كل ما في وسعي فأقمت على حراستك اثنين من خيرة رجالي .. وهذا كل ما يسعني .. فأرجو أن تخطر رجالي بانتقالاتك .
- ولكن .. ولكنني قد أسافر إلى برلين .
فقال 'جاننيمار' في هدوء :

- إذا سافرت إلى برلين فلن أكون مسؤولًا عن حياتك .
وتهالك 'جيدو ماسكيه' على المقعد وقد امتقع وجهه .
* * *

في بداية الأمر نظر 'جيدو' إلى الحادث نظرة الهزء والاستخفاف .
ولكن الأيام أخذت تتتابع وهو لا ينفك يرى الشرطي السري جالسًا بباب الدار أو مستويًا إلى جوار سائق السيارة .. فأثر ذلك في أعصابه ونكره بالخطر الذي يتهدده . وما أن انقضى الشهر الذي ضربه 'لوبين' موعداً للانتقامه حتى كان المسكين انثى إلى أن يكون حطامًا مضعفًا .

وأخيرًا جاءه المفتش 'جاننيمار' يحمل إليه النبا البغيض :

- لقد رجع 'أرسين لوبين' إلى فرنسا . ١ ٩ .

فامتقع وجه المسكين وقال :

- رجع إلى فرنسا . ١ ٩ . وكيف .. وكيف عرفت ذلك .. ؟

ولكن 'جاننيمار' لم يجب عن هذا السؤال .. لم يكن مستعدًا للإجابة وإلا لاضطر أن يكشف 'جيدو' بأن لإدارة الأمن العام عيونًا من اللصوص أنفسهم يرقبون زملائهم ويتجسسون عليهم ثم يحملون أتباعهم إلى البوليس سرا .

لو أن 'جاننيمار' أجاب عن هذا السؤال لاضطر أن يكشف 'جيدو' ماسكيه بأن الذي اتاه بالنبا نشال يدعى 'نوزيه' اعتاد أن يؤدي مثل هذه الخدمات لـ 'جاننيمار' .. ولاضطر أيضًا أن يكشفه بما أبدى ذو اللحية الحمراء من سلوك مريب يدعو إلى الظن بأنه 'أرسين لوبين' متنكرًا .

وكانت هناك بعض الشائعات تحوم حول 'نوزيه' والخدمات التي يؤديها . ولكن 'نوزيه' كان لا يفتأ يقسم لزملائه أنه بريء وأنه ما ارتكب شرًا في حياته ولا خان أحدًا .

ويقيم 'نوزيه' في غرفة صغيرة في شارع (كلوريه) .. غرفة قذرة لا تكاد تدخلها الشمس ولا يضرب الهواء في جنباتها . والمعروف عنه أنه ليس بارعا في النشل ، ولذلك لم يستغرب أحد أن يكون على عهد الناس به قدر الثياب قديمها ما دام لا يربح من مهنته إلا النذر

اليسير.

وفي ذات مساء مضى 'نوزيه' إلى مخفر البوليس القريب من داره مستترا بالظلام وقابل المفتش 'استوريه' الذي كان قد أرسل يستدعيه. وقال 'نوزيه' مفضيا بما لديه من معلومات :

- سيقع سطو في الغد على حانوت الجوهرى 'لويس' .. وسيقوم بهذه اللعبة، اللص الإنجليزي 'نوتينج ريل' .. وسيبيع المسروقات اليهودي 'الفوس' .. امن اجل هذا ارسلت إلي يا مسيو 'استوريه' ؟ وكان 'نوزيه' واقفا يدير قبعته بين أصابعه في شيء من الارتباك . ولم تكن هذه اول مرة قابل فيها 'استوريه' مرشدي البوليس . ولكنه كان يعرف ان 'نوزيه' خيرهم وابرعهم .

ودون ان يرفع راسه قال بجيبه في غلظة وجفاء :

- انتظر هنا .

ثم انتقل إلى الغرفة المجاورة واوصد الباب خلفه .

وفي الغرفة المجاورة كان 'جانيمار' كبير مفتشى البوليس السري جالسا إلى المكتب وبين شفتيه سيجارة يدخنها . وقال المفتش 'استوريه' :

- لقد جاء الرجل الذي حدثت عنه يا سيدي .. 'نوزيه' .. إنه أبرع مرشدي البوليس ويمكنك ان تتركن إليه .. ولكنه جبان لا يجب ان يستهدف للخطر فلا تجعله يفهم ان العمل الذي سنسندُه إليه ينطوي على شيء من الخطر .

نحى 'جانيمار' السيجارة عن فمه وقال :

- ايعرف يا ترى السبب في استدعائه ؟

فابتسم 'استوريه' وقال :

- لا .. لقد اوقعت في روعه اني استدعيته لاطرح عليه بعض الاسئلة عن السطو على حانوت جوهرى . وإن كنا في الواقع على علم بجميع التفاصيل من مرشد آخر .

- اتني به .

ودخل 'نوزيه' إلى الغرفة الثانية وهو قلق مضطرب وجعل ينقل بصره في حيرة وارتباك بين الرجلين .

وقال في صوت رقيق الثبرات :

- نعم يا سيدي .. ؟

فقال 'استوريه' :

- هذا هو مسيو 'جانيمار' كبير مفتشى البوليس السري .

واحنى 'نوزيه' راسه وقد ازداد وجهه امتقاعا وقال في صوت متهدج :

- لقد سمعت باسمك يا سيدي كثيراً .. إنك المفتش الذي اقتنص 'أرسين لوبين' .

فقطب 'جانيمار' جبينه وقال :

- الواقع انني لم اقتنصه .. ولكنك انت الذي ستقتنصه .. !

- انا يا سيدي ؟ !

وجعل 'نوزيه' يحملق إلى وجه 'جانيمار' وقد اتسعت عيناه بهشة وفقر فاه استغرابا حتى صارت هيئته مدعاة إلى الضحك كأنه ممثل هزلي .

ولما تمالك روعه غمغم يقول :

- اتريد ان تعهد إلي يا سيدي بمهمة جديدة ؟ اني رهن إشارتك إن بي ميلا طبيعيا إلى المراقبة وترصد حركات اللصوص . ولست أكتفم عنك يا سيدي إنني كنت أتعنى ان أكون شرطيا سريا . لو اني احترفت هذه المهنة لالاحت . وما يديري اني كنت جديراً بان اصبح كبيراً لمفتشى البوليس السري . ا ولست أعني بذلك يا سيدي اني اضاھيك نكاه ودهاء .. ولكني .. ولكني .

ولم يجد كلمة يصلح بها غلظته فسكت .

وقال 'جانيمار' :

- لقد ارسل 'أرسين لوبين' خطاب تهديد إلى المليونير 'جيدو' ماسكية ولهذا اريد منك ان تراقبه .

- وكيف أراقبه يا سيدي وقد سمعت أنه في انجلترا ؟

- لقد رجع .

- رجع ؟ .

- نعم .. او بعبارة أخرى إننا نرتاب في احد القادمين ويغلب على

ظننا انه 'لوبين' . ولذلك ساعد إليك بمراقبته حتى استولى من الحقيقة .

ويعد ربع الساعة تم الاتفاق على أن يتولى 'نوزيه' مراقبة ذي اللحية الحمراء الذي حضر من إنجلترا في اليوم السابق .

* * *

جاء ذو اللحية الحمراء من إنجلترا في الدرجة الثالثة .. وكان جواز سفره محررا باسم 'تينيت' .. وذكر امام مهنته انه مهندس كهربائي ولكنه على الرغم من مظاهر الفقر البادية عليه فإنه استاجر مسكنا فخما (وإن كان صغيرا) في ميدان (كينتوال) .

وفي ذات يوم ذهب ذو اللحية الحمراء إلى زيارة 'جيدو ماسكية' . اثارت هذه الزيارة شكوك 'جانيمار' .. إنه يرتاب في أن ذا اللحية الحمراء هو 'أرسين لوبين' .. فإذا ما جاء لزيارة 'جيدو' فمعنى ذلك انه لابد أن يكون 'لوبين' . ومما ضاعف .. شكوكه ان ذا اللحية الحمراء شوهد في اليوم التالي يحوم حول البيت ويراقبه من الناحية الخلفية .

واستفسر 'جانيمار' من 'جيدو' عن سبب تلك الزيارة التي قام بها ذو اللحية الحمراء فعلم انه جاء ليتحدث إليه بخصوص مشروع استنباط القوة الكهربائية من بعض الأنهار في بلاد الهند .

ولم يكن أهون عند 'جانيمار' من أن يلقي القبض على ذي اللحية الحمراء ويضيق عليه الخناق ويتحقق من شخصيته . ولقد هم 'جانيمار' بأن يقدم على هذا فعلا ، لولا أن ذكر حملات الصحف عليه حين قبض منذ اشهر قليلة على ثلاثة من الإبرياء ارتاب في أنهم من عصابة 'لوبين' .. لقد حملت الصحف إذ ذاك حملة منكرة على البوليس ونظم البوليس .. وذكرت أن إلقاء القبض على الإبرياء يعد فضيحة صارخة لنظام التحقيق في فرنسا وتراجع 'جانيمار' أمام هذه الحملة ولم يجرؤ على اعتقال ذي اللحية الحمراء ، إذ كيف يبرر موقفه لو ظهر انه بريء لا شأن له بـ'لوبين' .

تعقب المراقبون ذا اللحية الحمراء .. ولكنه كان بارعا في التخلص من أمثال هذه المطاردات .. وكم من مرة ولب من سيارة التاكسي اثناء

سيرها وقفز إلى سواها فضل مطارديه !
وقال 'نوزيه' :

- ولكني لا اعتقد يا سيدي أن هذا الرجل هو 'أرسين لوبين' !
- ولماذا ؟

- إنه ملتج .. وعهدي بـ'لوبين' انه حليق اللحية . !!!
فصاح 'جانيمار' مزجراً :

- تبا لك ! ! الا يستطيع أن ينمي لحيته . ! ! الا يستطيع أن يضع لحية مستعارة . ! راقبه واحمل إلي اتباعه . ! إن رجال البوليس لا يستطيعون السطو سرا على مسكنه .. اما انت .. فتستطيع .. تسلل إذن إلى مسكنه وافحص أوراقه فقد تجد بينها ما يرشدنا إلى الحقيقة ولكن اسمع .. ليس معنى هذا أنني عهدت إليك بالسطو على مسكنه . كلا .. إنني شرطي وواجبي يقضي علي بأن أكون عدواً للساطين لا نصيراً لهم مهما تكن الأسباب .. كل ما هنالك أنني أريد منك أن تؤدي واجبك على الوجه الاكمل .. ولكني لست مسؤولاً عن شيء .
فاحضى 'نوزيه' رأسه دلالة على الفهم .

ويعد ثلاثة أيام حمل 'نوزيه' إلى المفتش 'جانيمار' تقريراً متضمناً تفصيلات ذات شأن .. لقد ذهب (تينيت) إلى المطار وتحدث في شأن استئجار طائرة خاصة ذات مقعد واحد ليسافر بها إلى إنجلترا ثم أمضى وقتاً طويلاً في إحدى شركات الكهرباء في الناحية الشرقية من باريس . وبعد ذلك اشترى عدة أشياء لا يعلم 'نوزيه' كنهها ومضى بها إلى داره .

ورأى 'جانيمار' أن يستشير مدير الأمن العام في الأمر .
وقال المدير :

- يمكنك أن تستصدر امرا بتفتيش مسكنه .
- ففتشنا مسكنه .. ولكننا لم نعثر فيه على ما يثير الريبة .
وفي تلك الليلة ذهب 'جانيمار' يزور 'جيدو ماسكية' .
والقى المليونير على حال سيئة ، لقد حطمته الثلاثة اشهر الماضية وهدمت اعصابه .. لقد أحالته حطاماً بالياً .

وقال المليونير في صوت مضطرب حين دخل عليه 'جانيمار' :

- الديك انباء جديدة . هل استطاع جاسوسكم 'نوزيه' ان يكتشف شيئا ؟

إن 'نوزيه' متوقد النكاء يا مسيو 'جانيمار' وأولى به أن يكون من رجال البوليس .. كنت أتحدث إليه بالأمس فادهشني بذكائه . لقد رأيتُه واقفا عند الباب مع احد رجالك . ولكن اسمع يا مسيو 'جانيمار' دعني أقص عليك حكاية الراقصة .. أقسم لك انها انتحرت وأنه لم تكن لي يد في ..

فقاطعه 'جانيمار' بقوله :

- قلت إنني أوتر ألا اطرق هذا الموضوع . !
وسكت 'جيدو ماسكيه' .

ما كاد 'جانيمار' يغادر قصر المليونير حتى وقفت بالباب سيارة هيب منها 'نوزيه' مسرعا وهو بادي القلق والاضطراب . وأقبل على الشرطي السري الذي أقيم عند الباب لمراقبة الداخلين والخارجين وقال له :

- أين مسيو 'جانيمار' ؟ لقد اختفى ذو اللحية الحمراء . لقد غادر مسكنه . وحلق لحيته أيضا . ولم اعرفه عند خروجه . ولم افطن للامر إلا بعد أن تمكن من الهرب .. ! أين المفتش يا سرجنت 'كونيه' ؟

فاجابه 'كونيه' وقد بدا عليه الانزعاج :

- لقد انصرف المفتش .

ودخل 'كونيه' إلى البيت يتبعه 'نوزيه' وسار بهما الخادم إلى الطابق الثاني وأرشد البوليس السري إلى غرفة المواصلة التليفونية المجاورة لقاعة الطعام .

وانهمك 'كونيه' في الحديث التليفوني على حين وقف 'نوزيه' في انتظاره في البهو .

فتح باب المخدع وبرز 'جيدو ماسكيه' على عتبته فلما رأى 'نوزيه' قال يسأله :

- ماذا جرى . ؟

- إنه يتحدث إلى رئيسه . لقد وقع حادث خطير .

- حادث خطير ؟ تكلم

فأدار 'نوزيه' رأسه فيما حوالبه وقال :

- أخشى أن يسمعا أحد من الخدم . !

- تعال معي إذن إلى مكتبي .

وامضى 'نوزيه' في مكتب المليونير خمس دقائق وحين خرج أوصد

الباب خلفه ووقف ينتظر 'كونيه' في البهو .

ولما فرغ السرجنت من حديثه التليفوني قال يخاطب 'نوزيه' ..

- اطمئن .. فقد قبضوا على ذي اللحية الحمراء . كان 'جانيمار' قد

اتخذ الحيلة فعهد إلى أحد زملائي بمراقبته .

فقال 'نوزيه' في شيء من الغضب :

- كيف هذا .. ! ألا تلتقون بي . ! اتعهدون إلي بمراقبته وفي الوقت

ذاته تسندون نفس هذه المهمة إلى أحد رجالكم . ! هذه خيانة . هذه

خدعة غير لائقة !

فابتسم السرجنت 'كونيه' وقال :

- لولا هذه الخدعة لألقت منا ذو اللحية الحمراء . ولما .. سلمت من

غضب الرئيس .. هيا أسرع إلى إدارة البوليس فإنه في حاجة إليك .

وفي ذلك الوقت جيء بذئ اللحية الحمراء إلى مكتب 'جانيمار' ...

وكان ثائرا غاضبا لا ينفك لحظة واحدة عن الاحتجاج على اعتقاله

بلا سبب .

وجعل يقول :

- ما معنى هذا .. ! لاي سبب القيتم القبض علي . ! أفي هذه البلاد

قانون يحرم على الناس حلق لحاهم . ! نعم .. لقد حلقت لحيتي لأنني

لم أعد راغبا فيها .. ماذا تقول ؟ لحية مستعارة .. ! هذا ادعاء كاتب

يا سيدي .. ! إنها لحية حقيقية . !

- ولماذا تركت مسكنك . ؟

- تركت مسكني لاني كنت معتزما السفر .

- إلى أين ؟

- إلى هولاند لأقابل معمولا وعد بان يمديني بالمال اللازم لتنفيذ مشروعي الخاص باستنباط القوة الكهربائية من مساقط المياه في بلاد الهند .

وقاطعه 'جانيمار' بقوله :

- لحظة واحدة يا سيدي .. حين جئت إلى فرنسا كانت مظاهر الفقر بارية عليك ، ولكنك ما كنت تهبط بباريس حتى تبذلت حالك فاستاجرت مسكنا غاليا وابتعت ثيابا جديدة وكنت لا تكاد تنتقل إلا في سيارات التاكسي ، وأصبح لديك من المال ما يكفي للسفر إلى هولاند فهل لك ان تفسر لي السر في هذا التبدل؟
فتردد الرجل شهية ثم قال :

- ساكاشك بالحقيقة يا سيدي .. لا اكتم عنك اني كنت مغلسا حين وصلت إلى باريس ، ولكني التقيت في المحطة برجل ذكر لي انه يهتم بالهندسة الكهربائية من مساقط المياه فابدى اهتماما كبيرا بحديثي .. وهيئة الرجل لا تدل على الثراء ولذلك دهشت حين رأيته يخرج من محفظته مائتي جنيه قدمها إلي وأشار علي بما ينبغي ان اصنع . فهو الذي نصحني بان استاجر شقة فخمة .. وهو الذي وضع لي برنامجا اسير عليه فذكر لي الجهات التي يجب ان اختلف إليها كل يوم .. ولقد كنت حريصا على لحييتي معجبا بها ، ولكنه طلب إلي بالأمس في إلحاح ان احلقها فاضطرت ان انزل عند رغبته ثم نقدني ثلاثمائة جنيه اجر السفر إلى هولاند .

وكان 'جانيمار' يصغي إلى هذه القصة بين الإنكار والتصديق ثم قال :

- وهل هذا الرجل هو الذي اشار عليك بزيارة المليونير 'جيو ماسكيه'؟

- نعم .

- وهو الذي اشار عليك بان تقف في اليوم التالي على مقربة من

البيت .. ؟

- نعم .

- صف لي هذا الرجل .

فقال 'تينيت' مجيبا :

- إنه زري الهيئة تدل ثيابه على الفقر ويمتاز بانف كبير احمر ، وله سن بارزة وبساقه عرج خفيف .
ما سمع 'جانيمار' هذه الكلمات حتى انبعث واقفا وهو يصرخ قائلا :

- ماذا تقول ؟ انف كبير احمر .. سن بارزة .. بساقه عرج خفيف .. يا إلهي .. إنه هو بعينه .. إنه هو بعينه !

وخرج من مكتبه وهو يجري واستقل إحدى سيارات التاكسي وأمر السائق بان ينطلق به إلى بيت المليونير 'جيدو ماسكيه' ووثب 'جانيمار' من السيارة قبل ان تقف وصاح بالسرجنت 'كونيه' الذي يتولى حراسة القصر :

- خبرني .. هل قابل 'نوزيه' مسيو 'ماسكيه' .. ؟

فهز السرجنت راسه وقال :

- لا أدري .. ! لقد سعدنا إلى الطابق الثاني وتركته في البهو ريثما اخاطبك في التليفون .

ولم ينتظر 'جانيمار' المصعد وإنما ارتقى السلم وثبا حتى إذا بلغ الطابق الثاني قال يسأل الخادم :

- أين مسيو 'ماسكيه' .. ؟

- في مكتبه يا سيدي .

ولم ينتظر 'جانيمار' إذنا بالدخول وإنما دفع الباب ودخل .

وهناك رأى 'جيدو ماسكيه' .

كان المليونير طريحا على الأرض وهو موثق القياد مكمم الفم .. وكان في حالة إغماء .

وفوق صدره ورقة عليها كلمات كتبت على عجل . وهذا نصها :
صديقي العزيز 'جانيمار'

«بلغني انك استات مني اشد الاستياء باحترافي مهنة رجال
البوليس حين امطت اللثام عن لغز غاية (مورج) . اعني حادث القرد
السكران الذي فتك بسيدته وزوجته .

«وانك لتعلم يا صديقي 'جانيمار' ان لك عندي مكانة كبيرة واني اكره
ان اكون سببا في إثارة غضبك . لهذا صح عزمي - نزولا على رغبتك -
على ان اكف عن مزاحمة رجال البوليس في مهنتهم وان اعود إلى
حرفتي القديمة : اللصوصية .. ! فلعلك راض الآن .. !

ولقد بدأت عملي بإنذار مسيو 'جيدو ماسكيه' .. ولكنه ابى ان
يستمع إلي .. انذرتة بان يدفع ربع مليون فرنك فركب راسه ورفض .. !
كان أولى بك يا صديقي ان تنصحه .. !

وعقابا له ضاعفت المبلغ .. ! ارغمته على ان يحرر شيكا بنصف
مليون فرنك سارسل منه مائة الف فرنك إلى ام الراقصة المسكينة .
وربع مليون فرنك تبرعا لجمعية إعانة الممثلين .. والممثلات .. اما
المائتا الف الباقية فساحتفظ بها لنفسي مكافاة على ما تجشمت من
تعب .

وعلى فكرة أرجو ان تلجا إلي إذا احتجت إلى شيء من المعلومات
عما يجري وراء الستار . فإن 'نوزيه'، بشهادة الجميع ابرع .. مرشدي
البوليس واقدرهم . فإن طاب لك يوما ان تستعين بي فلا تتردد .
إن ذا اللحية الحمراء طاهر الذيل وقد استخدمته في تحقيق
اغراضى وهو لا يدري ، فاطلق سراحه ولا تزعجه .

صفق يا صديقي إعجابا بـ'أرسين لوبين' . ! كانت خدعة بارعة . !
بيت المليونير محاصر برجال البوليس ولا سبيل إلى تخطي عتبه
فما العمل إنن ؟

الوسيلة الوحيدة هي ان يصبح 'لوبين' من مرشدي البوليس حتى
يتسنى له دخول قصر المليونير بين سمع البوليس وبصره - بل وتحت

حمايته . ! وهكذا كان . ! فبقليل من التنكر - اصبح 'لوبين' ذا انف
كبير احمر وسن بارزة وساق بها عرج خفيف . !
«واقبل ان اختم رسالتي أوكد لك اني على استعداد لان القي عليك
درسا في فن التنكر . !

«مرشد البوليس نوزيه،

أو

«صديقك المخلص 'أرسين لوبين'

الفصل السادس

قال المفتش 'بيشو' مخاطباً رئيسه 'جانيمار' كبير مفتشي البوليس السري:

- ليس من حقي ولا من شاني يا سيدي ان ابدي .. شيئاً من النقد او الاعتراض . ولكني ارجو الا يغضبك مني قولي : إن اساليبك حيال 'أرسين لوبين' أصبحت لا تجدي . وإنك لن تفلح بهذه الوسائل في اقتناصه .. لقد استطاع 'لوبين' ان ينقلب عليك مرارا فامتلات نفسك ياسا . والياس كفيل بأن يقضي على ما لديك من حسن التدبير والدهاء ولهذا لا اعتقد انك ستنجح في اعتقاله .. لا بد من تعديل الخطط البوليسية .. وهذا التعديل لا يمكن ان يتم على يدك انت ! وإنما ينبغي ان يتم على يدي شرطي اخر لم تقتل حسن تدبيره الهزائم التي مني بها .

واستمع 'جانيمار' إلى حديث مرعوسيه في امتعاض ظاهر ولكنه كظم ما بنفسه وليث صامتا ... لقد تقدمت به الأعوام ولن يستمر في خدمة الحكومة اكثر من بضعة أشهر ثم يعتزل العمل . وسيخلفه المفتش 'بيشو' . فما الداعي إلى إثارة عراك سخيف والأمر بينهما لن يعدو أشهرا ؟

يعتقد 'بيشو' أنه أكفأ من 'جانيمار' . أفليكن ! لنذعه في غروره ولكني ساهيء له فرصة يعنى فيها بهزيمة من تلك الهزائم التي ينعيها علي ويعيرني بها !

بهذا حدث 'جانيمار' نفسه وهو يستمع إلى نقد 'بيشو' اللاذع . ثم رفع صوته قائلاً :

- إنك تعلم يا عزيزي 'بيشو' أنني منحت إجازة قصيرة سامضيتها في جنوب فرنسا . وستتولى أنت العمل مكاني في أثناء غيابتي . فأرجو أن تتاح لك فرصة تجرب خططك البوليسية الجديدة . وسأنبه على كائنتي بأن يحول إليك جميع الرسائل التي ترد باسمي ... وأرجو

أن يذكرك 'لوبين' بإحدى مغامراته حتى أرى كيف تتصرف تصرف الإنكباء !

وضحك ساخراً ... فقال 'بيشو' :

- سوف ترى .. !

وقبل أن يغادر 'جانيمار' باريس إلى مصيفه ظهرت الصحف وفيها فقرة تشير إلى أن 'جانيمار' منح إجازة قصيرة . وأن المفتش 'بيشو' تولى العمل مكانه وأنه هو الذي سيتابع تحقيق قضايا 'أرسين لوبين' التي كانت مناطة بـ 'جانيمار' .

وفي صباح اليوم التالي ورد خطاب إلى الأمن العام .

كان الخطاب معنوناً باسم 'جانيمار' كبير موظفي البوليس السري، ولم يكن لدى سكرتير 'جانيمار' أي شك في أن هذا الخطاب وارد من 'أرسين لوبين' .

وقال 'بيشو' :

- 'أرسين لوبين' ؟ . كلام فارغ ! ما الذي يدعوه إلى الكتابة ، أجرت عاقته بأن يرسل 'جانيمار' ... ؟
فض 'بيشو' الرسالة وقد علت شفطيه ابتساماً تخطوي على الاحتقار .

وكان هذا نص الخطاب :

في باريس رجل يدعى 'بول لامور' .

«ومن الغريب أنني لا أحب 'بول لامور' هذا . لقد بدأ حياته لصاً ! كان يسرق أجور العمال .. يستخدم الوفا من العمال في مصانعه ولا يمنحهم الأجر الذي يستحقون .. ! ليست هذه لصوصية .. ! الرجل الذي يستنزف دماء العمال هو في رأيي أشد اللصوص إجراماً .. و'بول لامور' من هذا الطراز .

«وقد أساء إلى صديقتي لي .. أساء إليها بلا جريرة اقترفها فحق عليه القصاص . ولذلك اعتزمت أن أسرقه .

نعم .. أنا الواضع اسمي أدناه 'أرسين لوبين' أعلن على رؤوس

الأشهاد اني قررت أن اسلب 'بول لامور' مليوناً من الفرنكات (أو ما يعادلها) . وهذا المبلغ هو ثمن قلادة من الماس سيبتاها 'لامور' من الجوهري 'كوليه' في ميدان النجمة . فبمجرد انتقال القلادة إلى يد مشتريها سنتقل إلى يدي . !
وهذا إنذار مني .. !

«أرسين لوبين»

والتفت 'بيشو' إلى من حوله وقال متسائلاً :

- من يكون 'بول لامور' ؟

لمضى مساعده ليقوم بتحرياته وليجمع بعض المعلومات ثم رجع يقول : إنه اطلع على مختلف التقاويم كما قرأ الدليل العام دون أن يجد فيها أية إشارة إلى رجل يحمل هذا الاسم .
فهز 'بيشو' كتفيه في استخفاف وقال :

- هراء .. ! كلام فارغ .. ! سخافات .. ! لو أن 'جانيمار' هنا لإقام الدنيا وأقعدها بسبب هذا الخطاب السخيف .. ! أما أنا .. !

وطوح بالخطاب في سلة المهملات في ازدياء .

وقال مساعده السرجنت 'لافرين' محذراً :

- من عادة 'لوبين' يا سيدي أن يعقب على هذه الإنذارات بتسديد الضربة، التي تكلم عنها دون أن يبالي بأحد .

- ربما لم يكن يبالي بـ'جانيمار' ولكنني ساعلمه كيف يبالي بي أنا !
وفي مساء تلك الليلة بعينها دخل مساعده وهو منهمك في عمله في مكتبه وابتكره بقوله :

- لقد اهتديت إلى 'بول لامور' .. !

وأخرج من جيبه صحيفة مسائية وأشار إلى فقرة وضع عندها خطأ بالقلم الأحمر وقال :

- اقرأ هذا النبا .. !

وكان هذا نص الفقرة :-

« منذ أسبوع هبط باريس المليونير الأمريكي المعروف 'بول لامور'

وقد علمنا أنه ابتاع منذ أيام لوحة فنية رائعة تمثل الربيع من ريشة المصور الخالد 'رينارد' ليضفها إلى متحفه العظيم . وبلغنا أيضاً أنه ابتاع نماذج من صور المدرسة الحديثة دفع فيها مائة ألف فرنك ،
وقطب 'بيشو' جبينه وقال :

- اسرع يا 'لافرين' إلى الفنادق الكبيرة وتحر عن مستر 'بول لامور' وعد إلي بأسرع ما يمكن وأنبئني في أي فندق نزل .

ولم يكن الاهتمام إلى مقر المليونير الأمريكي بالأمر العسير . إذ احتجز لنفسه جناحاً في فندق من أكبر فنادق باريس .

على أن الاتصال به كان عسيراً متعذراً .. تحدث إليه 'بيشو' تليفونياً فقيل له إن المليونير أوى إلى مخدعه مبكراً وأمر بالآيزعجه أحد مهمما تكن الأسباب . فاسرع 'بيشو' إلى الفندق بنفسه على يستطيع أن يقابل المليونير ولكنه لم يكن أسعد حظاً فاضطر إلى أن يرجئ الأمر حتى الصباح .

* * *

استقر رأي المفتش 'بيشو' على أن يزور المليونير الأمريكي في الصباح ولكنه أثر قبل أن يمضي إلى الفندق أن يعرج على حانوت الجوهري 'كوليه' الذي أشار إليه 'لوبين' في رسالته .
وكان المدير العام غائبا في رياضة قصيرة فقابل مدير الإدارة .

- مسيو 'بول لامور' ؟ أه .. بالتأكيد .. إننا نعرفه .. ولقد بعنا إليه بعض الجواهر .. والمفاوضات دائرة بيننا الآن بخصوص قلادة الأميرة الروسية 'الكسنريف' .. إنه ينوي شراؤها .

ثم قطب مدير الإدارة جبينه وقد تسربت الشكوك إلى نفسه وقال :
- ولكن خبرني .. هناك ما يؤخذ على المليونير الأمريكي ؟ أهو محتل مدع ؟

فضحك 'بيشو' وقال :

- أوه لا ! لا ! بالتأكيد . لا شيء يؤخذ ضده .. إنه من أصحاب الملايين فيما فهمت .. كل ما هناك أنني أسعى إلى صيانة مصالحه

وحراسته ولا ضير في أن أكاشفك بالحقيقة إذ لا مفر من هذه المكاشفة
أجلاً . لقد وصل إلى علمنا أن لصاً شهيراً ينوي أن يسرق المليونير ..
ولذلك أريد منك إذا ما حان الوقت أن تزودني بكل معونة ممكنة .

أشدد الفضول بمدير المحل .. وود لو استطاع أن يقف على شيء من
التفصيلات ، ولكن 'بيشو' لم يكن في هذا اليوم ميلاً إلى الإفاضة
والإسهاب ، فلاذ بالصمت وأبى أن يزيد حرفاً على ما قال .

ورجع 'بيشو' إلى إدارة الأمن العام قبل أن يمضي إلى الفندق واطلع
على البريد الوارد ، فوجد أن مسيو 'بول لامور' قد هون الأمور كثيراً
ومهد السبيل .. إذ حمل بريد الصباح بطاقة منه مرفقة بخطاب
توصية تعلوه في حروف كبيرة مطبوعة هذه الجملة :

«إدارة بوليس نيويورك،
مكتب المدير العام»

وكان هذا نص خطاب التوصية :
«سيدي العزيز ..

اسمح لي بأن أكل إلى عنايتك الساهرة مستر 'بول لامور' من أهل
هذه المدينة ومن كبار اغنيائها .. إن في نية مستر 'لامور' أن يمضي
في فرنسا فترة من الزمن .. وقيل رحيله وردت إليه خطابات تهديد من
اللص الفرنسي الشهير 'أرسين لوبين' .. فلم أر مندوحة من الالتجاء
إليك والاستعانة بكم .

يحتمل أن تكون هذه التهديدات مجرد دعابات لا شأن لها ..

ولكنني أعرف أن مستر 'لامور' لسبب ما قد أتى عملاً أثار عدا
'لوبين' فلا يبعد إذن أن تكون هذه الإنذارات مستندة إلى أساس .. فهل
لك أن تتفضل بإسداء كل معونة ممكنة إلى مواطننا مستر 'لامور' .

«المخلص - سوليفان»

«مدير عام بوليس نيويورك»

أما البطاقة التي أرفقها المليونير بالخطاب فلم تكن أكثر من دعوة
موجهة إلى مسيو 'جانيمار' كبير مفتشي البوليس السري يدعوه فيها

إلى مقابلته .. ويعد ربيع الساعة مثل 'بيشو' في حضرة
المليونير الأمريكي . !

ومستر 'بول لامور' طويل القامة ، وسيم الوجه ، ذو شارب سرى
إليه الشيب ، ولاحظ 'بيشو' أن الأمريكي مصاب بعادة عصبية ، هي أن
يرفع يده ما بين لحظة وأخرى إلى فمه ويجري أصابعه عليه وعلى
ذقنه .

- تفضل بالجولوس يا حضرة المفتش ، يسرني كثيراً أن أتعرف إليك
ولكن خيرني : من هو 'أرسين لوبين' هذا ؟ إنني لم أقابله مطلقاً ،
ولكني لا أخشاه .. نعم .. إنني لست خائفاً ..

وكان جلياً أن الأمريكي ولوع بالحديث ، ميال إلى الثرثرة والإسهاب
فما يفرغ من جملة إلا انتقل إلى سواها ، و'بيشو' صابر صامت
يتربق فرصة يتهيأ له فيها سبيل إلى الكلام .

ولم يغب عن 'بيشو' أن مسيو 'لامور' على علم بالسبب الذي أثار عدا
'أرسين لوبين' ، فقد أشار مرة أو مرتين في حديثه إلى «هذه الفتاة
'فلتشر'، ولكنه لم يشأ أن يزيد 'بيشو' إيضاحاً عن «هذه الفتاة فلتشر» .
وقال 'بيشو' أخيراً :

- الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنه توعد بسرقتك .. لقد قال في
رسالته : إنك ستبتاع قلادة ثمنها مليون فرنك ، وأنتك ..
ففغر الأمريكي فمه دهشة وقال :

- يا للسماء ! قلادة 'الكسندريف' ! ليت شعري كيف عرف أننا
اتفقنا على مليون فرنك ثمنها لها !

ولم يكن 'بيشو' على استعداد للإجابة عن هذا السؤال .. فقال دون
أن يحير جواباً :

- لصالحك أريد منك أن تسدي إلي هذه الخدمة : في كل مرة تنوي
الذهاب إلى حانوت الجوهري كولييه' أخطرني لأرافك .. وإذا حملت
معك مالا ..

فقال الأمريكي في لهجة تنطوي على الأزدراء :

- احسبنتي معتوها . ! اتظن انني احمل في جيبي مليوناً من الفرنكات . ؟ سانقه الذمن حوالة مالية على احد البنوك .. ولكن خبرني .. ما راك في هذه الصورة . ؟
وقضى عشر دقائق يتحدث عن اللوحات الفنية التي ابتاعها في الأيام القليلة الماضية .

ورجع بيشو إلى مكتبه في إدارة الأمن العام يعلو الإشراف وجهه .
لقد أخطأ 'أرسين لوبين' ، وأخطا للمرة الأخيرة في حياته . ! نعم أخطأ في إقدامه على هذه السرقة في عهد رجل آخر غير 'جانيمار' الذي أصبح لا نفع ولا خطر منه . ! أما 'بيشو' فسيلقن 'لوبين' درساً لا ينسى . !

نعم .. لقد مني 'جانيمار' بهزائم لا حصر لها على يدي 'لوبين' فنضب نكاؤه وجمدت قريحته ولم يعد لديه من الدهاء ما يتيح له فرصة حسن التدبير ، وهو يعد شيخ طاعن في السن ، ومجادلة 'لوبين' في حاجة إلى ذهن جديد ، ذهن مبتكر .
وهذه الصفات كلها متوافرة لدى 'بيشو' . ! وسوف يثبت للعالم أنه عبقرى فذ .. مضت سنوات و'جانيمار' يسعى عبثاً إلى اقتناص 'لوبين' .

أما اليوم فسيظفر به 'بيشو' .. وفي غير عناء . !

وجلس إلى مكتبه وهذه الخواطر تحشو رأسه .. وكتب خطاباً .. مسهباً إلى 'جانيمار' ضمنه جميع تفاصيل الحادث الجديد ، واختتمه بقوله :

'ويطبيعة الحال لن ادع شيئاً للصدف .. ساتخذ جميع الاحتياطات الممكنة ، وقد وعدني 'بول لامور' وعداً قاطعاً بأنه لن يشتري القلادة إلا في أثناء وجودي .

وقام 'بيشو' بزيارة أخرى لحانوت الجوهري 'كوليه' وامضى نصف الساعة يتحدث إلى المدير .

- اسمع .. عندما يشتري مسيو 'لامور' القلادة ينبغي ان ترسلها

إليه مع مندوبين من قبلك تثق فيهما ثقة عمياء .. لا أريد بأي حال من الأحوال أن تتم الصفقة هنا . فقد اتخذت الحيطة الواجبة في الفندق .. وساعد إلى أربعة من أقدر رجالي بمرافقة مندوبيك أثناء ذهابهما إلى الفندق . وإني أؤثر أن تحضري أنت بنفسك لتتسلم الحوالة المالية التي سيقدّمها إليك المليونير الأمريكي . ولك أن تصطحب الشرطة السريين في عوبتك لحراستك .

فضحك مدير المحل وقال :

- لا نفع في الحوالة المالية لـ'أرسين لوبين' . !

ثم أردد يقول :

- اتحب أن تلقي نظرة على القلادة التي بنوي مسيو 'لامور' شراؤها؟

لقد طلبنا ثمناً لها مليوناً ومائتي ألف فرانك ولكن المناقصات انتهت إلى مليون فرنك .. وهذا الأمريكي عنيد خبير بالأحجار الكريمة، وحسبه نظرة لبقيتها على الماسة ليقدر ثمنها تقديراً لا يخطئ وفتح خزانة في غرفة مكتبه وأخرج منها علبة رفع غطاءها فإذا فيها قلادة من الماس والزمرّد يبهر سناؤها الإبصار .
وقال :

- بعض هذه الأحجار يزن ثمانية قراريط ..

ثم أشار بإصبعه إلى ماسة كبيرة وقال :

- ثمن هذه الماسة لا يمكن أن يقل عن مائة وخمسين ألف فرنك والواقع أن ربحتنا قليل من هذه الصفقة .. إن مليون فرنك يعد ثمناً بخساً ولكن هذا الأمريكي عنيد ممسك .
* * *

بعد أن رجع 'بيشو' إلى إدارة الأمن العام قابل المدير وكاشفه بالإجراءات التي اتخذها للمحافظة على القلادة النفيسة . وقال 'مستطرداً وقد استشعر شيئاً من الزهو والفخر :

- إن المسألة في رأيي مسألة إجراءات واحتياطات .. إنني معجب

دون شك بأعمال المفتش 'جانيمار' وأقر الأساليب التي يتبعها ولكني لا أقرها بصفة عامة . فإن فيها ثغرات كان ينبغي اتقاؤها . إنه يكل الأمور في الغالب إلى الصدف . وبذلك يفسخ مجال الإفلات . ولكني على التقيض منه لم ادع سببا من أسباب الحيلة إلا واتخذته .
فقال المدير العام مؤيدا :

- إنني أشير بالا تهاون في استخدام الوسائل التي لدى البوليس .

فقال 'بيشو' :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. وسأضرب حول الفندق حصارا دقيقا .. وسارصد نفرا من الرجال في الدهليز وعلى رأس الدرج وفي الأبهاء الكبرى .. فإذا استطاع 'أرسين لويين' بعد هذا كله أن يفر من هذا النطاق فهو إذن شيطان من الجن لا بشر له عقل كعقولنا .

وكان المدير العام يثق ثقة عمياء في كبير مفتشيه 'جانيمار' ويعتقد أنه أذكى وأبرع شرطي في فرنسا . فإذا كان قد أخفق في اقتناص 'لويين' فمعنى ذلك أن 'بيشو' لابد أن يبوء أيضا بالخيبة . وأصغى المدير في برود إلى حديث 'بيشو' فلما سكنت قال المدير :

- وهناك نقطة مهمة ينبغي أن تلقي إليها بالا يا حضرة المفتش .. يجب ألا يغيب عنك أن من المحتمل أن يكون هناك شريك لـ'أرسين لويين' ، فهو بارع ذكي يعرف كيف يدبر خططه بمهارة . فابتسم 'بيشو' وقال :

- وأنا أيضا يا سيدي .. استمتع ببعض الشهرة .

ويبلغ من رقة المدير وحسن أبعه أنه لم يسأل 'بيشو' إيضاحا أو تفصيلا ..

وقد صدق 'بيشو' حين قال إنه لم يدع شيئا إلى الصدف وإنه اتخذ كل حيلة ممكنة . فقد طلب قائمة بأسماء شاغلي الغرف المجاورة للجانح الذي احتجزه المليونير الأمريكي لنفسه . وراح يدرس .. شخصية هؤلاء النازلين ويتحرى عنهم . بل لقد تحرى عن جميع نزلاء

الفندق دون استثناء .

وكانت الغرفة الملاصقة لمخدع مسيو 'بول لامور' تقطنها سيدة أمريكية تدعى مس 'جيرث استاسي' حلت بالفندق في نفس اليوم الذي وصل فيه 'لامور' ، وهي ذات جسم مديد وقوام شبيه بالرجال . ولا عجب في هذا فقد نكرت في سجل الفندق أنها تحترف مهنة التدريب على الألعاب الرياضية . وقد أنبا 'لامور' مفتش البوليس السري أنه تحدث إلى هذه السيدة أكثر من مرة فالهاها رقيقة الجانب حلوة الحديث . ولا ريب فيها إلا أنها شديدة الفزع من حرائق الفنادق وقد علقت ذلك بان حريقا شب في فندق كانت تنزل فيه فلم تنج إلا بشق الأنفس بعد أن كادت النيران تلتهما . فاضطربت اعصابها منذ ذلك اليوم ووقع في روعها أنها لن تنزل في فندق إلا اندلعت فيه السنة النيران .

وتحول المفتش 'بيشو' إلى أحد مساعديه قائلا :

- تعقبها .. إنها في رأيي أكثر النازلين في الفندق إثارة للشبهات والريب .

ولكن مطاردتها لم تسفر إلا عن شيء واحد : هو أنها توالي الاستماع إلى محاضرات في التربية البدنية والحياة الصحية يلقيها عالم سويدي . ولها في باريس صديقتان اعتادت أن تختلف إلى داريهما لتناول العشاء أو للرقص .

ولكن 'بيشو' لم يشأ أن يغضي عنها .. من الخطر أن يتهاون حتى في اتفه الأمور . فما كان منه إلا أن عهد إلى شرطية سرية بان تجعل همها مراقبة هذه المرأة الرياضية وتعقب خطواتها . ثم اختار خمسة رجال من أقدر الشرطة السريين وأصدر إليهم تعليماته في شأن ما ينبغي أن يتبع في شتى الظروف والأحوال . كذلك عهد إلى أربعة من الشرطة بمرافقة الجوهرى حين يحضر إلى الفندق حاملا القلادة .

وحين فرغ 'بيشو' من اتخاذ هذه الاحتياطات دق جرس التليفون في مكتبه :

- إنها صفقة رابحة يا مسيو 'لامور' . لقد ظفرت بكنز عظيم لقاء
ثمن بخس .

فهز الأمريكي كتفيه في غير احتفال وقال :

- لست أدري إذا كانت صفقة رابحة لي أو لكم . ! ومهما يكن من
الأمر فسادفغ إليكم الثمن الذي اتفقنا عليه . !

وأخرج محفظته فتناول منها حوالة مالية مسحوبة على أحد البنوك
قدمها إلى الجوهرى ، ففحصها هذا بعناية ثم دسها في جيبيه .

وقال 'بيشو' يساله :

- ما الذي تنوي أن تصنعه بهذه القلادة . ؟ بالتأكيد ستودعها

خزانة الفندق حتى تحين ساعة رحيلك . ؟

فابتسم مسيو 'بول لامور' وقال :

- لدي في غرفتي ما هو أمتن وأسلم مائة مرة من خزانة الفندق . ولا
يعرف سره أو مكانه سواي .. نعم .. ساودع القلادة مكانا خفيا

اتحداك انت ورجالك أن تهتدوا إليه ..

فقطب 'بيشو' جبينه وقال :

- الا ترى أنه يحسن بك أن ...

فقاطعه المليونير الأمريكي بقوله :

- إنني يا صديقي لا أثق بمخلوق . ! لا يعرف هذا المخبا السري

سواي وساکتم مكانه عنك وعن رجالك .. ما يدريني أن أحد رجالك هو
'أرسين لوبين' متذكرا . ! لقد قيل له إنه تذكر مرة واستطاع أن يصير

مديرا للبوليس .

وابتسم 'بيشو' وقال في صوت خافت :

- إيه .. أنت وشانك .. وحسبي أنني هزمت 'أرسين لوبين' وأفسدت

خطته .. الم يقل إن القلادة بمجرد انتقالها إلى يدك ستنتقل إلى يده . !
ومع ذلك فما هي ذي القلادة في يدك دون أن يجرو 'لوبين' على الظهور

لاستلابها .

ثم ضحك وأردف يقول في زهو وخيلاء :

- أرجو أن تتكرم بالحضور لمقابلتي .

كان المتحدث مدير محلات الجوهرى 'كوليه' .

وخف 'بيشو' من فوره إلى الحانوت . وقال له مدير الإدارة :

- لقد انتهت المفاوضات الدائرة بيننا وبين مسيو 'لامور' . وتم
الاتفاق على أن نسله القلادة اليوم في الساعة الخامسة بعد الظهر .

وكان هذا هو كل ما يريد 'بيشو' معرفته .

وعلى الفور شرع يحرك قطع الشطرنج التي رتبها ونسقها .. امر
بتنفيذ الخطة البوليسية التي وضعها لاقتناص عدوه اللدود : انطلق

عدد كبير من رجال الشرطة السريين يراقبون محطات الترام ومحطات
السكك الحديدية .. وانتشر نفر منهم في أنحاء الفندق .. في الأبناء ..

وعلى رؤوس الدرج .. وفي الدهاليز المختلفة .. وقبيل الساعة الخامسة
حين استقل مدير محل الجوهرى سيارته ومعه علبة القلادة ركب إلى

جواره أربعة من رجال الشرطة السريين المسلحين بالمسدسات .

وعند باب الفندق كان كوستانبلان في ثيابهما الرسمية . وفي دهليز
الجناح الخاص بمسيو 'بول لامور' يقف شرطيان سريان ساهرين

متيقظين .

وكان المفتش 'بيشو' جالسا مع المليونير الأمريكي حين وصل الكنز
النفيس يخفّره كل هذا العدد من الشرطة .

وضحك 'بول لامور' وقال :

- كأننا في معركة حربية ..

وصاح 'بيشو' في لهجة امرأة :

اغلقوا الباب !

ونفذ الأمر على الفور . !

وأخرج الجوهرى العلبة من جيبيه .. وضعها على المنضدة .. ورفع
الغطاء .. وتحت الأضواء المنبعثة من المصابيح توهجت القلادة ..

وكان لها سناً يخطف الأبصار !

وقال الجوهرى :

- في هذه المرة لقي 'لوبين' غريما يعرف كيف يهزمه . !
وحمل 'بول لامور' علية القلادة ودخل إلى مخدعه مسرعا واغلق
الباب خلفه . !

وهز 'بيشو' راسه وقال :

- إن لهؤلاء الأمريكيين طباعا شاذة . !

وكان 'بيشو' في حيرة من امره ، لم تكن لديه سلطة كافية تخوله ان
يحتم على 'لامور' ان يطلعه على المخبا الخفي ، وفي الوقت نفسه شعر
بشيء من القلق حين اشار 'لامور' إلى انه من المحتمل ان يكون احد
الشرطة السريين هو 'ارسين لوبين' نفسه متكررا ! فكيف يلقي بنفسه
بين انياب النذب ! و 'لامور' على حق في هذا . ! لقد تنكر 'لوبين' مرة
على صورة 'جانيمار' واستطاع ان يخدع اقرب المقربين إليه . !
وادر 'بيشو' بصره في رجاله المحيطين به وجعل يتفحص
وجوههم .

كلا .. هذا لا يمكن ان يكون 'لوبين' فإنه بعيد الشبه عن الصورة
التقريبية التي يعرفها رجال البوليس عن 'لوبين' ، وهذا ايضا لا يمكن
ان يكون 'لوبين' وكذلك هذا الشرطي . واخيرا استقر بصره على
'الجوهري' وهو يسائل نفسه عن حقيقة امره . !

وفجأة انتبه 'بيشو' من خواطره على صرخة مدوية . !

صرخة منبئة من الدهليز تلاها وقع اقدام سريعة .

ووثب 'بيشو' إلى باب الغرفة وفتحه في حركة سريعة فلمح امرأة
تجري في الدهليز بكل سرعتها وفي اثرها الشرطيان السريان اللذان
يتوليان مراقبة الدهليز .

انعطفت المرأة عند ناصية الدهليز وانطلقت تركض صوب السلم .

وارتد 'بيشو' ثانية إلى الغرفة على عجل وانقض على باب مخدع
'لامور' يحاول ان يفتحه .

واستعصى الباب إذ كان موصداً من الداخل .

طرق 'بيشو' الباب فلم يسمع جوابا ، نادى وزعق . ولكن دون

جدوى . ثم نادى وزعق . والامر على ما كان عليه .
فلم يكن منه إلا ان القى بجسده على الباب يدفعه دفعا دون ان يقوى
على تحطيمه . وخف إلى نجدته نفر من رجاله . ورموا بأجسامهم
فوق الباب . فاهتز ثم هوى تحت ثقلهم .

والفوا الغرفة خالية . !

لم يكن فيها اثر للمليونير الأمريكي . !

كانت مخدعا كبيرا مزودا ببابين : يفضي احدهما إلى الحمام
والثاني إلى الدهليز .

وكان باب الدهليز مفتوحا . !

اخذت 'بول لامور' واخذت معه القلادة . !

وكانت نوافذ المخدع موصدة . وكان مستحيلا ان تكون النوافذ هي
منفذ الخروج والغرفة واقعة في الطابق الرابع ، والتسلق إليها او
الهبوط منها شاق متعذر حتى على القطط والفئران .

وامتقع وجه 'بيشو' . لم تكن هناك ريبة في ان شيئا ما قد وقع .

شيء لا يدري كنهه وإن كان يعلم انه سيفضي إلى نتائج لا ترضيه .
خرج 'بيشو' مسرعا إلى الدهليز فرأى الشرطيين وقد رجعا من
المطاردة وهما يقودان امرأة تناضلها وتحاول الفكك منهما وهي
تصرخ وتستنجد .

ولم تكن هذه المرأة غير معلمة الرياضة البدنية مس 'استاسي' .

وكانت مس 'استاسي' بادية الغضب شديدة الهياج مضطربة
الأعصاب ، ومرت فترة غير قصيرة قبل ان يهدأ روعها وتسكن نفسها
وتستطيع الكلام .

وقال 'بيشو' وقد سار بالفتاة إلى قاعة الاستقبال :

- اسمعي يا فتاتي ودعي الإنكار فإنه لن يجديك شيئا .. إنك شريكة
لـ'ارسين لوبين' .. اليس كذلك .. لقد سلمك القلادة فهربت بها . أين مسيو
'بول لامور' ؟

وصاحت المرأة في صوت متهدج :

- امعتوه أنت ؟ من هو 'أرسين لوبين' ؟ وعن أية قلادة تتحدث ؟
لقد دق جرس إنذار الحريق فأنطلقت هاربة .. ولكني ما كنت أتوسط
الدليلين حتى أنقض علي هذان ..

فنظر إليها 'بيشو' في استغراب وقال مقاطعا :

- جرس إنذار الحريق .. إن الجرس لم يدق .. !

فصاحت في إلحاح :

- بل دق ! وسقط السهم ! واشتعل الضوء الأحمر !

وسار 'بيشو' معها إلى مخدعها فالفأها صادقة فيما ذكرت .. كان
السهم هابطا والضوء الأحمر مشتعلا وجرس الإنذار لا يزال يدق -

ورجع 'بيشو' إلى غرفة 'لامور' فقد تضاعفت بهشته .. وفي ذلك
الوقت كان الفندق وموظفوه قد احتشدوا في المكان يحفزهم الفضول .

وقرروا جميعا أنهم لم يروا مسيو 'لامور' -

وأشار 'بيشو' إلى باب المخدع وقال :

- وما هذا الباب ؟

فأجابه أحد الخدم :

- إنه باب المصعد الخاص بنقل الحقائب .

فطوى 'بيشو' الدرج مسرعا حتى انتهى إلى البهو . فالتقى رجاله
عند الباب يرتقبون . وقد أكدوا له أنهم لم يروا المليونير المخفي .

وهم 'بيشو' بالذهاب إلى مكتب مدير الفندق حيث سمع صوتا
يعرفه حق المعرفة يقول :

- ماذا جرى ؟ هل أقلت منك .

دار 'بيشو' على عقبه فإذا به يرى نفسه وجها لوجه إزاء 'جانيمار'
كبير مفتشي البوليس السري وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة

خفيفة .

وقال 'جانيمار' :

- وصلتني رسالتك بعد ظهر اليوم فحضرت على الفور ، لكن يخيل

إلي أنك عانيت بعض المتاعب .

غير أن 'بيشو' لم يجر جوابا .. جعل يحملق إلى وجه 'جانيمار'
وهو صامت ساكن وقد نكر أن 'لوبين' تنكر يوما على صورة 'جانيمار'
وأصدر طائفة من الأوامر والتعليمات واستطاع أن يخدع جميع رجال
البوليس .

راح يسأل نفسه : اهذا 'جانيمار' حقا ؟ أم 'أرسين لوبين' متنكرا ؟

أهي خدعة أخرى من خدع 'لوبين' ؟

وقال 'جانيمار' :

- ماذا هناك ؟ لماذا تحملق إلي كالمجانين ؟

وأخيرا تكلم 'بيشو' قائلا :

- هل أنت .. هل أنت 'جانيمار' ؟

فقطب 'جانيمار' جبينه وقال :

- هل أنا 'جانيمار' ؟ هل اطارت الهزيمة صوابك يا بني ؟ عد إلى

إدارة الأمن العام وضع على رأسك كمادة باردة وانتظرنني حتى أوافيك .

وسار 'بيشو' دون أن ينبس بكلمة .

* * *

في مساء تلك الليلة بعينها دعى المفتش 'بيشو' إلى مقابلة 'جانيمار'
كبير مفتشي البوليس السري .

وتكلم 'جانيمار' في صوت هادئ ولكنه بارد النبرات قائلا :

- دعني أولا أكاشفك بالسبب الذي حملني على مغادرة مصيفي

والحضور مسرعا . جاءتني رسالتك في الصباح ولكني لم أتسلمها إلا

ظهرا إذ كنت غائبا عن الفندق . فما تلوتها حتى أدركت أن 'أرسين

لوبين' قد اغتتم فرصة غيابتي ليستغل سذاجتك و .. وقلة خبرتك . !

لقد أذعت في الصحف أنك حللت مكاني . فانت محب للشهرة والإعلان

فما قرأ 'لوبين' ذلك حتى تحرك للعمل . بعث خطابا معنونا باسمي

وهو يعلم أنني في عطلة . كان موقنا أنك ستفض الرسالة وقد توليت

الأمر مكاني . وقد تعمد ذلك حتى تقول في نفسك : لو كان 'جانيمار'

هنا لارتكب عدة أخطاء ولأفلت منه 'لوبين' ، أما أنا فلن يفلت مني .

وهكذا يمتلئ صدرك غرورا . والغرور إذا ركب إنسانا استحبال عليه
أن يحسن التدبير واستحبال عليه أن يتبين بداءة الأمور .

فقال 'بيشو' معترضاً :

- كيف تقول هذا وقد اتخذت كل حيلة ممكنة ؟ لقد نثرت رجال
اليوليس حول ..

فقاطع 'جانيمار' بقوله :

- ولكنك غفلت عن الشيء الوحيد الذي كان ينبغي أن تفعله !

فقطب 'بيشو' جبينه وقال :

- وما هو هذا الشيء !

- اتعرف شركة كويليه وشركاه لتجارة الجواهر ؟

فقال 'بيشو' في دهشة :

- بالتأكيد . إنها الشركة التي باعت القلادة إلى المليونير الأمريكي

'بول لامور' !

فابتسم 'جانيمار' وقال :

- لست أسالك عن هذا ، إن صاحب محلات 'كويليه' رجل غني واسع

الثراء يدعى ..

فقال 'بيشو' مقاطعاً :

- يدعى 'شاييه' .

- تماماً .. ولكنه كان منذ سبعة أعوام يتسمى باسم آخر ما لبث أن

تخلى عنه واتخذ لنفسه اسم 'شاييه' .

- وما هذا الاسم الآخر ؟

- 'لامور' .. 'بول لامور' !

فاتسعت عينا 'بيشو' دهشة وقال :

- 'بول لامور' ؟

- نعم .. وحين قال 'لوين' في رسالته إنه سيسرق مليون فرنك أو

ما يعادله من 'بول لامور' - كان يقصد بطبيعة الحال صاحب شركة

'كويليه' الذي كان يسمى نفسه فيما مضى 'بول لامور' .. !

فقال 'بيشو' متسائلاً :

- ومن يكون إذن 'بول لامور' المليونير الأمريكي ؟

فابتسم 'جانيمار' ابتسامة ساخرة وقال :

- 'أرسين لوين' بالتأكيد .. !

فصاح 'بيشو' في لهجة المصعوق :

- 'أرسين لوين' ؟ !

- نعم يا صديقي ! .. هو بعينه ! بلحمه ودمه ! فالمليونير الأمريكي

الذي سهرت على حمايته هو 'أرسين لوين' .. !

- والحوالة المالية التي قدمها إلى الجوهري .. !

- مزورة بالتأكيد .. لو أنه قدم الحوالة إلى الجوهري مباشرة لما

رضي هذا بإنهاء الصفقة وتسليم القلادة إلا بعد أن يصرف قيمة

الحوالة من البنك ولكن الجوهري تهاون في هذا الأمر ثقة منه

بعميله .

وكانت شهادتك عن هذا العميل هي عماد الثقة .. ألم تقل للجوهري

أن 'بول لامور' من أصحاب الملايين الأمريكيين .. ! ألم تقل له إن مدير

بوليس نيويورك كتب إليك يوصيك بالسهر على سلامته .. !

- وخطاب مدير بوليس نيويورك .. ؟

- كالحوالة .. مزور أيضاً . ! ولو أنك أبرقت إلى نيويورك لجاك

منها الجواب الحاسم .. !

وتهاك 'بيشو' على أحد المقاعد إعياء . واسترسل 'جانيمار' يقول :

- أما جرس إنذار الحريق فخدعة أخرى من خدع 'لوين' ..

كان يعلم أن الفتاة الأمريكية التي تقطن إلى جواره تخاف الحرائق

التي تشب في الفتاق فما كان منه إلا أن اختار اللحظة المناسبة لإثارة

فزعها .

انفذ سلكاً من الجدار أثناء غيبتها وأوصله بجرس الإنذار . وحين

دخل إلى مخدعه والقلادة معه بق جرس الإنذار ففزعت المرأة وانطلقت

تجري في الدهليز وقد وقع في روعها أن النار شبت في الفندق . وما

أن راها الرجلان اللذان أرسنتهما في الدهليز للمراقبة حتى رابهما

أمرها فأنطلقا في إثرها . واغتتم 'أرسين لوين' هذه الفرصة فخرج من

الفصل السابع

شارل دوجيفال كاتب كثير الإنتاج .

ولكنه لم يبلغ بعد مرتبة ذلك الروائي الذي يخرج رواية في كل اسبوع - إن صدقت الشائعات - ومسرحية في كل اسبوعين ، وإذا كان هذا الروائي قد اثرى من قلمه واصاب من ورائه ربحا ضخما ، فإن صاحبنا "دوجيفال" لم يكتسب فرنكا واحدا من مقالاته التي اعتاد أن يوالي بها الصحف .. ولا عجب فقد كان يطرق موضوعات لا يخطر ببال اصحاب الصحف أن يستكتبوا الكتاب فيها من أمثال : تاريخ علم الانساب والسلالات - ضرورة الاقتصاد بين الطبقات الفقيرة ... الخ

اما عن ضرورة الاقتصاد بين الفقراء فموضوع يعد "دوجيفال" حجة فيه .. لأنه يفرض على مستجري مساكنه (وكلهم من الفقراء) إيجارات باهظة ، فلا مندوحة لهم من الاقتصاد حتى يتسنى لهم أن يتقنوه الإيجارات المطلوبة .

و "دوجيفال" رجل مسكين قليل الحظ .. فمستاجروه ناظمون عليه .. وموظفوه ناظمون عليه . اما الأولون فيحدثونك عن المساكن المتداعية التي يؤجرها لهم ، وكيف أنها في حاجة إلى تجديد وترميم وإصلاح ومع ذلك يتقاضى عنها إيجارا مرتفعا . اما الموظفون والعمال الذين يستخدمهم في مصانعه فيحدثونك عن الأجور النافهة التي يدفعها ، وساعات العمل الإضافية التي يرهقهم بها .

ولقد أشار "دوجيفال" يوما في إحدى مقالاته إلى هذه الشكايات .. أعني إلى التذمر الذي يفشو بين طبقات العمال والموظفين .. وراح يؤكد أن اصحاب المصانع من أرق الناس قلبا ، وأن عمالهم يتجنون عليهم ويرهقونهم بالمطالب الجائرة ، وأن صاحب المصنع لا يكاد يحصل من الربح على ما يعادل أجر رئيس عماله أو كبير كتابه . ! إن عبارات السخط التي تتردد إنما تجري بإيعاز من الاشتراكيين والشيوعيين

مخدعه بواسطة الباب المفضي إلى الدهليز . وفتح باب مصعد الحقائق المواجه له وهبط إلى الطابق الأرضي وخرج إلى الطريق من كوة الحقائق المتصلة بالمصعد بينما كان رجالك يحرسون أبواب الفندق !

وكان "بيشو" يستمع إلى هذا الحديث وهو صامت مذهول ! وقال "جانيمار" وهو يضحك .

- "بيشو" شرطي عظيم .. ! وهو الذي .. سيقتنص "أرسين لوبين" ليس كذلك .. ؟
ولم يجد "بيشو" كلمة يرد بها على هذا التهكم .

الذين يرمون إلى قلب نظام العالم وإحلال الفوضى محل القانون . وإن واجب الحكومة يقضي عليها بأن تضرب بيد من حديد على المهيجين الاشتراكيين ودعاة الشيوعية .

وقد أظنبت تشارل نوجيفال في هذا البحث ، ووجد في الشيوعية مجالا خصبا لإثارة حملة قاسية مستمرة .. فراح يعزو إليها كل المفاسد ويسند إليها جميع المساوئ .

ولكن لو أن الحقيقة قبلت لعرف الناس أن هناك الوفا من الموظفين والمستاجرين والعمال يكرهون الشيوعية بقدر ما يكرهون تشارل دوجيفال .

ولا شك أن إيفون دورني كانت بين الذين يبغضون دوجيفال . حقيقة كان دوجيفال معها سخي اليد ، كريم البنذل ، ولكن كرمه لم يبريء جراح قلبها الكسير .. وحقيقة : إن هذه الأشياء تقع كثيرا كما قال دوجيفال على طريقته الفياضة بالصلف والخشونة ، ولكن قوة حجته لم تقنع الفتاة المسكينة .

كانت إيفون تشتغل سكرتيرة لمسيو تشارل دوجيفال .. وبعد عام أمضته في خدمته اضطرت إلى أن تعزل العمل . وسافرت إلى مارسيليا ، فاتخذت لنفسها غرفة صغيرة في نزل حقير .. واستمر دوجيفال يرسل إليها في كل أسبوع مائة فرنك .. لتنفق منها على نفسها وعلى الطفلة .

وفي ذات يوم هبط مارسيليا رجل غريب الأطوار .. محب للعزلة والاعتكاف عن الناس .. ولم يجد هذا الرجل أصلح لإقامته من النزل في نزل (شوفيه) الذي اتخذت إيفون مسكنها فيه . كان الرجل كهلا وخط المشيب رأسه .. وفي عينيه بريق يدل على الطيبة وسلامة الطوية .. وكانت له طريقة في انتزاع الثقة من الناس وحملهم على الركون إليه .. والإفشاء له بكل ما تجيش به صنورهم من أسرار خاصة .. وكان محبا للأطفال يعرف كيف يجتنبهم إليه .. وكيف يداعبهم ويطرفهم بالحكايات المسلية .. فما أقام في النزل أياماً

حتى أحبه جميع من فيه .. كبارا وصغارا .. رجالا ونساء .

وهكذا .. في خلال الأسابيع التي كان 'جانيمار' يبحث فيها عن 'أرسين لوبين' .. وينقب كل ركن في فرنسا (عدا نزل شوفيه) سعيا وراءه - كان لوبين قابعا في النزل يستمع إلى قصة 'إيفون دورني' وهي تحدثه بما جرى بينها وبين تشارل نوجيفال . وكيف اغواها بعد أن مناها بالوعود الخلابه . وكيف كانت تختلف إلى داره سرا في كل ليلة دون أن يشعر بها أحد . ؟

- وكيف هذا ؟ ! وابن الخدم إذن .. ؟

- لم يكونوا يرونني .. كنت أتسلل إلى غرفة مكتبه مباشرة من

سرداب سري متصل بالجراج .

وحدثته عن السرداب السري .

كان تشارل دوجيفال حريضا على سمعته فانشأ هذا السرداب حتى تختلف إليه عشيقاته عن طريقه دون أن يدري بامرهن أحد .

ولكنه لم يكن حريضا على سمعة الفتيات اللاتي يغرر بهن .. !

وآرته 'إيفون' صورة فوتوغرافية لتشارل دوجيفال كتب في ذيلها كلمة إهداء 'إلى حبيبتي إيفون دورني' .

كانت المسكينة وهي تتحدث تكاد تبكي لفرط ما تحس به من عذاب وقلبيها يتفطر حزنا .. بعد أن أصاب منها كل ما ينشد نبذها هي وظلفتها .. ! وقال لها بلا مبالاة 'إن هذه الأشياء تحدث كثيرا .. !

ووعدها بأن يواليها بمائة فرنك في كل أسبوع . وقد بر بوعد ..

ولكن اتغنى المائة فرنك عن عدم اندمال الجروح المعذبة .. !

ورثى الشيخ الطيب القلب للفتاة المسكينة وراح يعزيها بما حضره من كلمات محاولا أن يخفف وقع المأساة على نفسها .

ويقوم تشارل نوجيفال في بيت جميل في شارع الجيش ، وكان من عادته أن يمضي إلى مقر شركته في كل صباح فيقضي في مكتبه ساعتين ينحى باللائمة في خلالها على جميع رؤساء الأقسام ، ويزعق في بعض الموظفين ثم يدير في قوائم المرتبات عين نسر فاحصة

ويجري بقلمه الأحمر عليها فيخطف بعضها ويخصم من بعضها ولكن من المحال أن يرفع أحدها .. ! ثم يستدعي إليه المدير ويلقي عليه محاضرة طويلة عريضة في أنه قد بدأ عمله وهو لا يملك فرتكا ولكنه استطاع بالجد والمثابرة والنشاط أن يجمع ثروة ضخمة .. ! ولكنه لا يذكر مطلقا أن استنزاف دماء العمال وبخسهم أجورهم ذلك أهم عاملين في تكوين هذه الثروة .. !

فإذا ما فرغ من هذه المحاضرة اليومية رجع إلى داره وجلس إلى مكتبه القريب من النافذة مرسلا بصره إلى الحديقة الغناء ، ثم يشرع في تحبير مقالاته أو محاضراته التي اعتاد أن يلقيها في مختلف الأندية والجمعيات .

وكانت غرفة مكتبه أية في الجمال .. تشرف على حديقة تنتظمها الأزهار.. وينتشر في أركانها اثاث فاخر بديع الصنع .. لم يكن هناك وجه للمقارنة بين هذه الغرفة وبين الجحور القذرة التي ينام فيها موظفوه . ولا بينها وبين الأكوخ المداعية التي يعيش فيها مستاجروه .. ويموتون .. !

سمع 'شارل دوجيفال' وهو منهمك في كتابة مقاله نقرا خفيفا على الباب وقال :

- ادخل ..

ودخل خادم يرندي ثيابا مزركشة ويحمل صينية مطعمة بالذهب فوقها بطاقة. فقد كان 'دوجيفال' مولعا بالمظاهر والرسميات . تناول 'شارل دوجيفال' البطاقة فلقى عليها نظرة مقطبة ثم قال متمتما :

- المفتش 'جانيمار' .. ! ليت شعري من يكون 'جانيمار' هذا .. ؟ وماذا بيتغي مني .. ؟ ادخله ..
ودخل 'جانيمار' .

وامتعض 'دوجيفال' لرؤيته .. امتعض إذ أدرك أن هذا الشرطي لا يحفل بالمظاهر والرسميات .. ! إنه رجل قليل المبالاة والاحترام للناس.

وهذه طباع 'اشتراكية' لا يقرها 'دوجيفال' .. طباع بثها دعاة الشيوعية الملاحين .. !

والقى 'جانيمار' بقبعته على الأرض تحت أحد المقاعد واستوى جالسا دون أن يدعو رب الدار إلى الجلوس .. وامتعض 'دوجيفال' للمرة الثانية .

قال 'دوجيفال' في لهجة تدل على نفاذ الصبر :

- نعم يا سيدي . ؟ اظنك جئت تقابلني بشأن صرافي الذي اختلس جانبا من الإيرادات ؟ إنني أوثر أن تقابل وكيل الإدارة ، إذ لم تجر عادتي أن ..

ولكن 'جانيمار' قاطعه بقوله :

- كلا .. ! إنني ما جئت أحدثك في شأن الصراف المختلس يا مسيو 'دوجيفال' . وإنما جئت في شأن مقالك الذي ظهر في عدد هذا الصباح من جريدة (لا كوريير) .. مقالك الذي تحدثت فيه عن الجريمة والمجرمين وناديت بضرورة فرض عقوبة الإعدام على المجرمين معتادي الإجرام .

طاب هذا الحديث لـ'شارل دوجيفال' فتراجع قليلا في مقعده وقد انتبسطت أساريره .. إدارة الأمن العام قد اهتمت بمقاله . رجال البوليس وعلى رأسهم كبير المفتشين يقيمون وزنا للآراء التي يبديها . ما أعظمه نجاحا !

وقال 'دوجيفال' :

- اه .. بالتأكيد ! . بالتأكيد ! . لقد نسيت .. واطنك تشاظرني رأيي يا حضرة المفتش في أن المجرم المعتاد الإجرام لا يستحق أقل من الإعدام . إنه وحش على ..

وللمرة الثانية قاطعه 'جانيمار' الذي لا يفهم في المجاملات قائلا :

- إن رايك عن المجرمين معتادي الإجرام لا يعينني في قليل أو كثير . فبدا الامتعاض جليا على وجه 'دوجيفال' . ولم يحاول أن يخفي ما

واسترسل 'جانيمار' قائلا دون أن يبالي بامتعاض رب الدار :

- في مقالك عن الجريمة والمجرمين تحدثت عن لص معين ، 'أرسين لويين' . وقلت إن من العار أن يظل هذا اللص مطلق السراح والبوليس عاجز عن القبض عليه والاقتصاص منه على ما اقترف من جرائم .

فاغتمتها 'شارل دوجيفال' فرصة للانتقام من 'جانيمار' وقال :

- ولا أزال عند هذا الرأي .. ! نعم إنه لعار كبير أن يبدي البوليس مثل هذا العجز الشائن .. ! لا شك أن مقالي أحدث رجة في إدارة الأمن العام . ؟ إنني أسف دون شك ولكن لا يسعني إلا أن أقرر الحقيقة فبصفتي كاتباً أطرق موضوعاً ذا صلة بالصالح العام لا مفر لي من ترديد ما اعتقد أن السن الناس جميعاً تجري به .

فضحك 'جانيمار' وقال :

- إن قراءة مقالاتك تلذلي يا مسيو 'دوجيفال' ولكني أوكد لك أنها لم ولن تحدث رجة في إدارة الأمن العام . إن رجال البوليس يعلمون قبل أن يتولوا مهنتهم أن أصحاب هذه المناصب عرضة للنقد وللحملات القاسية . فإذا مر يوم لم نستهدف فيه للحملات وقع في روعنا أن الناس قد جنوا ! ولكنني جئت لغاية أخرى .. جئت لآذرك بأن من الخطر الجسيم أن تحشر اسم 'أرسين لويين' في مقالاتك . إنك بذلك تسترعي انتباهه وتجر على نفسك الأخطار ولا سيما أن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أنه كان مقيماً في الأيام الأخيرة في نزل 'شوفيه' .!

فقطب 'شارل دوجيفال' جبينه .. نزل 'شوفيه' . ؟ إنه يتكرر هذا الاسم .. ولكن بآية مناسبة . ؟

فقال متسائلاً :

- نزل شوفيه ؟ وما أهمية ذلك ؟

وفي هدوء أجابه 'جانيمار' بقوله :

- تقيم في نزل 'شوفيه' فتاة تتحلل لنفسها اسم مدام كالمار ولكننا

نعرف أن اسمها الحقيقي هو 'إيفون دورني' .. كما نعرف أنها كانت تعمل سكرتيرة لك .. ولست أدري إذا كان لديها من الأسباب ما يثير نقمتها عليك أم لا .. ولكن كل الظواهر تدل على أنها شديدة النقمة عليك .. كانت سكرتيرة لك .. وهي فتاة حسنة . !

فقال 'دوجيفال' مقاطعاً :

- إنني أعرف كل شيء يتعلق بمس 'إيفون دورني' . ! كان من سوء حظها أن .. ولكن ما الداعي إلى إثارة هذا الموضوع ، ولست أحب أن اتحدث إليك في شأنها .

فقال 'جانيمار' في أسلوبه الجاف المنطوي على الخشونة :

- وأنا أيضاً لا أحب أن اتحدث إليك في شأنها يا مسيو 'دوجيفال' ، إن إدارة الأمن العام تهتم عادة بما هو أخطر من حادثة مس 'إيفون دورني' ولكن يهمني أن أكاشف بامر له خطورته وهو : إذا كان الرجل الذي أمضى أسبوعين في نزل 'شوفيه' هو 'أرسين لويين' فثق أنك ستسمع باسمه عاجلاً .. ولهذا انصحك بأن تكف عن إقحام اسمه في مقالاتك حتى لا تسترعي اهتمامه . ! وهذا كل ما لدي . !

فنهض 'شارل دوجيفال' واقفاً واقترب من 'جانيمار' وقال له في لهجة حادة : - دعني أصارك يا مسيو 'جانيمار' بأنه قد أدهشني أن تتقدم إلي بمثل هذا الاقتراح . ! إن واجب البوليس يقضي عليه بحمايتي ، ولكن الحماية لا تكون بإسداء أمثال هذه الاقتراحات التي تدل على الجبن والتخاذل .. الا يقضي علي الواجب بصفتي مواطناً شريفاً أن أنادي بضرورة القبض على هذا اللص ؟ ! وأعلم أيضاً يا مسيو 'جانيمار' أن واجبي يقضي بأن أوالي الحملة على رجال البوليس وما يبذون من ضعف وعجز وجبن ! وسأجعل من هذا البحث موضوعاً لرسالتي التالية إلى صحيفة (لا كوربيير) .. ولن اتحاشى الإشارة إلى 'أرسين لويين' ! نعم .. سانادي بملء صوتي بأن 'لويين' حر طليق .. وأن البوليس عاجز عن القيام بواجبه . !

وهز 'جانيمار' كتفيه في غير اكتراث ونهض واقفاً وهو يقول :

- الم يخطر ببالك ان في وسعنا ان نتخذ منك طعاما لا تقتناص
'آرسين لوبين'.. وان واجبنا يصبح اهون واسهل لو اننا شجعناك على
إثارتة واسترعاء انتباهه . ؟! من صالحنا ان نشجعك على الكتابة
حتى إذا حاول 'لوبين' الدنو منك وجدنا في انتظاره .. ولكنني غلبت ..
سلامتك على مصلحتنا وبادرت إلى تحذيرك فافعل ما بدا لك ! .

* * *

والواقع إن هذه الفكرة لم تخطر ببال 'شارل دوجيفال' .. بل إنه لم
يقتنع بها حتى بعد ان كاشفه بها 'جانيمار' ، فما ان انصرف الزائر
حتى شرع 'دوجيفال' في كتابة مقاله الثاني عن الجريمة والمجرمين ..
كان في اول الامر منهمكا في تحرير كلمة عن 'علاج الفقراء' ضمنها كل
علاج ممكن وإن كان قد أغفل علاجين خطيرين هما : رفع أجور
الموظفين والعمال ، وتخفيض إيجارات المساكن : ولكنه اثر ان يرجئ
علاج الفقراء حتى يفرغ من علاج الجريمة والمجرمين .
ودق 'دوجيفال' الجرس يستدعي سكرتيره ، وأمره بان يوافيه على
الغور بكل ما لديه من معلومات عن 'آرسين لوبين' ! .
ثم استهل مقاله بالعبارة الآتية :

'حين تحدث الموسيقى (بلليني) عن نعمة الكسل ، وتمضية الأيام بلا
عمل - لا شك انه كان يعني بكلمته رجال البوليس في هذه الأيام
وموقفهم الشائن إزاء ذلك اللص الشرير المدعو 'آرسين لوبين' ..

واسترسل 'دوجيفال' في مقاله بحماسة والفاظ رنانة قوية ، فحمل
حملة شعواء على موقف البوليس ، وطالب بشدة بضرورة إصلاح نظم
الأبحاث الجنائية .. بل لقد طالب بإقالة جميع رؤساء البوليس
وإحلال سواهم مكانهم .. ودلل على صحة رايه باستعمال بعض
التعبيرات الطبية فقال : إن إدارة الأمن العام في حاجة إلى دم جديد ! .
ولكن مقاله الملتهب غيرة ورغبة في الإصلاح لم ينشر بحذافيره ، فقد
اقتص بعض جوانبه المنظم الذي يتولى توضيب الصحف فرفع
شظراً منه لينشر إعلانا عن سباق الكلاب !

وقرأ 'جانيمار' المقال واغرق في الضحك وقال :

- مسكين هذا الرجل ! إنه يجهل ان 'لوبين' قد بدأ يهتم به ! .

اما المفتش 'بيشو' فابتسم وقال :

- ولكنني اشاطره رايه ، إن إدارة البوليس السري في حاجة إلى دم
جديد ! .

فقال 'جانيمار' :

- وانت دون شك هذا الدم الجديد ؟ !

- ولم لا ؟ .

فنظر 'جانيمار' إلى مرؤوسه في غيظ مكتوم ثم قال متهكما :

- صدقت .. فإدارة البوليس في حاجة إلى براعتك التي اظهرتها في

قضية الجوهرى 'بول لامور' ! .

ثم أخذ يقهقه ضاحكا وقال :

- ها .. ها - 'بيشو' يحرس المليونير الامريكى 'بول لامور' ضد

'آرسين لوبين' .. على حين ان المليونير هو نفسه 'لوبين' ! . ها .. ها

يالك من شرطي نايف يا عزيزي 'بيشو' ! . نعم إننا في حاجة إلى

نيوفاك وعبقريتك ! .

وسكت 'بيشو' على مضض ! . إذ كانت هذه الحادثة شوكة في

حلقه ! .

* * *

بعد يومين من ظهور المقال حمل 'البريد' خطابا إلى 'شارل دوجيفال'

وكان الخطاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .. وهذا نصه :

إنك كاتب عظيم .. قوي الاسلوب .. فهل لك يا ترى هذه المقطرة في

المحاضرات والمناظرات ؟ إن في نيتي ان اقيم حفلة ساهرة بمناسبة

عيد رأس السنة ادعو إليها جميع مستاجري مساكنك البؤساء ، وقد

استاجرت صالة البلدية لهذا الغرض .

ففي الساعة التاسعة من مساء ليلة رأس السنة ساصعد إلى منصة

الخطابة في قاعة البلدية لاناظرک في موضوع عقوبة الإعدام وهل من
الأصلح إبقاؤها أو إلغاؤها .. فهل أنت على استعداد لمناظرتي ؟
اطلع المفتش 'جانيمار' على هذا الخطاب .. وأجب عن طلبی في قسم
الإعلانات في صحيفة (الاکورییر)

'أرسین لوبین'

وغمغم 'شارل دوجیفال' يقول :

- يا للشيطان ! .. يا للجرأة ! ..

واتصل تليفونيا بإدارة الأمن العام . وطلب إلى 'جانيمار' أن يحضر
لمقابلته .. وهاجت ثأرته حين دعاه 'جانيمار' إلى الحضور إلى مكتبه
إذا كان في حاجة إليه !

وقال 'دوجیفال' :

- إنني إن أخرج بعد ظهر اليوم .

فكان جواب 'جانيمار' أن قال في هدوء :

- وكذلك أنا ! يمكنك أن تحضر لمقابلتي في تمام الساعة الثالثة ..
وسأخصك بعشر دقائق ليس غير .

وطاطا 'دوجیفال' من كبريائه ومضى إلى إدارة الأمن العام في الموعد
المحدد، ولكن 'جانيمار' تعمد أن يبقيه في الانتظار ربع الساعة قبل أن
يأذن له بالدخول عليه .

وتناول 'جانيمار' الخطاب فتلاه في صوت مرتفع ثم قال :

- نعم ؟ .. وهل تنوي أن تقبل هذا التحدي ؟ .. !

فحلق 'دوجیفال' إلى وجهه وقال : أقبل :

- هذا التحدي .. ؟ أتريد أن تقول : إن هذا اللص سيحضر حقيقة
إلى قاعة البلدية في الساعة التاسعة من مساء رأس السنة
لمناظرتي ..؟ هذا أمر مستحيل .. !

فقال 'جانيمار' في هدوء :

- إذا قال 'أرسین لوبین' : إنه سيحضر إلى قاعة البلدية فاعلم أنه

سيحضر .. !

- على الرغم من رجال البوليس .. ؟

- وعلى رغم رجال البوليس .. ! ولست أدري ما سيحدث بك إذا ما
حضر ... لكنني موقن على الأقل ، من أن ما سيحل بك سيرضي أعداك
ويحزن اصداقك .. ! وأرى أن تعلن في (لا كوريير) بقبولك المناظرة
وسابذل كل ما في وسعي لحمايتك .

ولم يكن 'دوجیفال' خائفا ولكنه كان دهشا .

وقال :

- تريد يا حضرة المفتش أن تقول ..

فقاطعته 'جانيمار' بقوله :

إنني رئيس المفتشين .. !

فقال 'دوجیفال' وقد نفذ صبره :

- وهل كونك مفتشا أو رئيسا للمفتشين أمر ذو أهمية .. ؟ إنك

شرطي تمنح مرتبك لحماية الناس .. وهذا كل ما يعني من أمرك .. !
أتريد أن تقول : إنك تنظر نظرة جدية إلى هذا الخطاب .. ؟

- نعم .. وانصحك أن تحذو حذوي ..

في الأيام القليلة المقبلة أصاب مسيو 'شارل دوجیفال' شهرة
عريضة مدوية .. لقد أذاع في الصحف نص الخطاب الذي جاءه من
'أرسین لوبین' فلم يعد للناس من حديث إلا عن هذه المناظرة .. في ليلة
رأس السنة سيظهر 'لوبین' علانية على ملا من الناس . ستجري بينه
وبين 'دوجیفال' مناظرة علنية . ! لقد بلغت جرأة 'لوبین' حداً يذهل
العقول ويحيرها .. !

ودلت التحريات على أن قاعة البلدية التي ستجرى فيها المناظرة قد
استؤجرت فعلا في الليلة المعهودة .. ! استأجرها أحد المحامين
لحساب موكل مجهول .. وقد دفع الإيجار مقدما .. وتولى أحد المطاعم
الكبرى صف المقاعد وإعداد المرطبات لثلاثة آلاف شخص .. وبغ الأجر
إلى المطعم مقدما أيضا .

وأشارت بعض الصحف بضرورة إلغاء العقد وعدم تاجير القاعة

ولكن إدارة الأمن العام تدخلت في الأمر وأشارت بإبقاء الحال على ما هي عليه ، فإن في تلك فرصة لاقتناص 'أرسين لوبين' .

واستدعى 'جانيمار' صاحبه 'بيشو' وقال له :

- والآن ما رأيك في هذه الفرصة الجديدة .. ؟ لقد افلت منك 'لوبين' في المرة السابقة .. اعني في حادث المليونير الأمريكي . فهل لك أن تجرب حظك في هذه المرة . ؟

فاشرق وجه المفتش 'بيشو' وقال :

- وهذا ما كنت اصبو إليه .. ! ساظفر به هذه المرة ولن اخطئ كما اخطأت من قبل .. !

فضحك 'جانيمار' وقال :

- فليكن لك ما تريد .. ولكن اعلم انها فرصتك الأخيرة .. إنني اعلم أن 'لوبين' سير بوعده وسيظهر على منصة الخطابة . وكنت أحب الا يتعمق من الإفلات .

- لئق انه لن يفلت . !

وفي صباح أحد الأيام حمل البريد إلى كل مقيم في مسكن من مساكن 'شارل دوجيفال' بطاقة دعوة لحضور المناظرة التي ستجرى بين 'دوجيفال' وبين 'أرسين لوبين' في موضوع عقوبة الإعدام وصلاحياتها أو عدم صلاحيتها.

وفيما بين يوم وليلة أصبح 'دوجيفال' أشهر أهل باريس .. وكان إذا دخل مطعم .. أشار إليه الناس وراحوا يتهايمسون !

هذا هو الرجل الذي سينظر 'أرسين لوبين' . !

ولما اقترب الموعد المحدد للمناظرة قال 'جانيمار' يخاطب المفتش 'بيشو' :

- اعلم أنك تكفلت بهذا القضية ولكن اتسمح لي بأن ادلي باقتراح صغير . ؟

فهز 'بيشو' كتفيه في غير اكتراث وقال :

- تكلم ..

فقال 'جانيمار' :

- انصحك بأن تعد خارج البلدية أربعة اطباء وعربة إسعاف لنقل 'شارل دوجيفال' إلى المستشفى .

- ولماذا أربعة اطباء . ؟

فكان جواب 'جانيمار' :

- طبيبان يتوليان العناية بـ 'دوجيفال' .

- والأخران . ؟

- ليتوليا العناية بك أنت . !

وقهقه ضاحكا . !

فقال 'بيشو' :

- اضحك كيف شئت . ! غدا ستقر بتبوعي . !

- إنني اقربه منذ حادث المليونير الأمريكي 'بول لامور' . !

ولما اقتربت الليلة الموعودة تلقى مسيو 'شارل دوجيفال' الخطاب الثاني .

وكان هذا نصه :

'أرجو ألا تتخلف عن الحضور .. عندما اصعد إلى منصة الخطابة في تمام الساعة التاسعة سانتظرك عشر دقائق . ولن أزيد عليها دقيقة واحدة .'

ولكن مسيو 'دوجيفال' كان في تلك الأيام قليل الاهتمام بـ 'أرسين لوبين' إذ ظهر في الميدان مناظر جديد استرعى الأبصار . فقد تلقى 'دوجيفال' رسالة من رجل إنجليزي الجنسية يدعى 'آرثر أنوس' ذكر فيها أنه من أشد اعداء عقوبة الإعدام وأنه لا يفنا ينادي في كل بلد يحل به بضرورة إلغاء هذه العقوبة الهمجية . وأبدى استعداداه للاشتراك في المناظرة إذا تخلف 'أرسين لوبين' عن الحضور (كما هو المنتظر) وقال إنه يجيد الفرنسية كابنائها . وبعد وصول هذه الرسالة إلى 'دوجيفال' حضر صاحبها بنفسه يزوره . وكانت هيئته تدعو إلى الاحترام ولا تثير في النفس شيئا من الشكوك . وكانت له لحية طويلة

نامية تحملك على تبجيله .

وقال مستر 'ارثر انوس' :

- إنك .. ستذهب يا سيدي إلى قاعة البلدية . وستعد خطابك .. وستدرس موضوع المناظرة حق الدرس .. فليس من الإنصاف إذا ما تخلف 'أرسين لوبين' ، أن تعود أدراجك دون أن تلقي كلمتك .. ولهذا ساحضر إلى القاعة بصفتي مناظرا احتياطيا فإذا تخلف 'لوبين' حلت مكانه فما رأيك في هذا ؟ .

وطابت الفكرة لـ 'شارل دوجيفال' إذ كان قد أعد كلمته فعلا وكتبها على الآلة الكاتبة . فوعده بالتفكير في الأمر ومكاشفته برأيه فيما بعد . ولكنه رأى على سبيل الحيطة أن يخطر إدارة الأمن العام بالأمر . وقال المفتش 'بيشو' :

- 'ارثر انوس' ؟ .. إنني لا أنكر هذا الاسم .

وأسرع إلى التليفون واتصل بـ 'دوجيفال' وقال له :

- لا ترفض طلبه .. وأين يقيم ؟ .

- لا أدري فانا لم أسأله .. ولكنه سيخاطبني الليلة تليفونيا ليعرف ما استقر عليه عزمي . ويخيل إلي أنه رجل ظريف حلو الحديث . فقال 'بيشو' وهو يبتسم :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. لا بد أن يكون ظريفا حلو الحديث .

ثم قال في نفسه : وهل زعم أحد أن 'أرسين لوبين' ليس ظريفا حلو الحديث ؟

وكما فعل 'بيشو' في قضية المليونير الأمريكي 'بول لامور' فعل أيضا في هذه القضية .. اتخذ احتياطات دقيقة فحضر حصارا شاملا حول دار البلدية عماده عدد كبير من رجال البوليس الراكب يدفعون بعيدا عن الباب الجماهير المحتشدة التي جاءت يحفزها الفضول ، وانتشر رجال البوليس السري في كل مكان . وصدرت الأوامر بعدم السماح لأحد بالدخول عدا الذين يحملون بطاقات الدعوة .

وقال المفتش 'جانيمار' ينصح 'بيشو' :

- تذكر شيئا مهما .. حين يريد 'أرسين لوبين' أن يتنكر ، فهو لا يعتمد على اللحي المستعارة والأنوف المصطنعة .. كلا .. إنه ينتحل شخصية رجل ما فإذا به يصبح نفس الرجل : صوته .. وهيئته وقوامه . واسلوبه في الحديث .

فقال 'بيشو' :

- يمكنك أن تثق بمقدرتي .

فابتسم 'جانيمار' وقال :

- المشكلة الكبرى هي أنني لا أثق بمقدرتك ..

وأولى 'بيشو' ظهره وتركه للمصير الذي ينتظره ..

لم يحضر المدعوون في الموعد وإنما حضروا قبل حلوله ببضع ساعات .. ! ففي الساعة الرابعة بعد الظهر دعوا يتوافدون ويترحمون الطريق . ورجال البوليس يعانون صعوبة كبيرة في تنظيم حركة الدخول ، وما أن بلغت الساعة السابعة مساء حتى كانت المقاعد كلها قد غصت بالحاضرين وكانت هناك فرقة موسيقى تشنف أذان الحاضرين بالحانها حتى لا يتسرب الملل إلى نفوسهم ، إذ كان 'لوبين' قد عزم على إقامة حفلة راقصة عقب المحاضرة .

حضروا جميعا متلهفين يستبد بهم الفضول .. ترى ما الذي سيقع ؟

هل سيحضر 'أرسين لوبين' حقيقة ؟ وكيف يتمكن من الفرار ورجال البوليس يسدون منافذ الطرقات ويجرسون الأبواب ؟

وفي منتصف الساعة التاسعة ذهب المفتش 'بيشو' وفي رفقته أربعة من ضباط البوليس إلى منزل 'شارل دوجيفال' فقادهم الخادم إلى قاعة المكتب الجميلة الفاخرة الرياش .

وكان 'دوجيفال' جالسا إلى مكتبه يطالع فنظرت إلى زائريه من فوق نظارته وأشار إلى المقاعد قائلا :

- تفضلوا بالجلوس .. واسمعوا لي بأن أتم رسالتي إلى صحيفة (لاهورير).

واستمر يكتب نحو ربع الساعة . ثم وضع القلم وجفف الحبر وطوى الأوراق وادبعها ظرفا كبيرا .

ثم تحول إلى المفتش 'بيشو' قائلا :

- لقد طرات على بالي فكرة .. خطر لي أن من المحتمل أن يكون هذا المناظر الإنجليزي 'آرثر أنوس' رجلا مريبيا .. ؟
فقال 'بيشو' :

- وهذا ما خطر لي يا سيدي .. فلا يزعجك امره .. لقد أصدرت أمرا شديدا بعدم السماح بالدخول إلا لمن يحملون بطاقات الدعوة ، فإذا ما جاء 'أنوس' اضطر إلى أن يذكر اسمه لرجال البوليس (ما دام لا يحمل بطاقة) حتى يأنقوا له بالدخول .. ولن يتخطى العتبة حتى يتبعه نفر من اقدر رجالي .. إنني اعتقد أن 'أنوس' هذا هو 'أرسين لوبين' نفسه .. لقد وعد بأن يظهر على المنصة فعدت إلى هذه الحيلة .. يتقدم منتحلا اسما آخر زاعما أنه جاء ليحل محل 'لوبين' إذا تخلف .. ولكنني فطنت لحيلته . واتخذت الحيلة . فإذا ما ظهر 'أنوس' على المنصة انقض عليه رجالي .. فكن مطمئنا يا مسيو 'دوجيفال' .

فابتسم 'دوجيفال' وقال :

- إنني مطمئن تمام الاطمئنان ما دمت ساهرا على حمايتي .

* * *

نهض 'شارل دوجيفال' واقفا وقال يخاطب ضيوفه من رجال البوليس :

- والآن يمكننا أن نعضي إلى قاعة البلدية أيها السادة ..

وكان في انتظارهم سيارة استقلوها طوت بهم الطريق في دقائق قليلة فإذا هم أمام الدار، فصعدوا إليها من باب خاص .

أخذت الدقائق تتتابع ..

وأخيراً دقت الساعة تسع دقائق .. إيذانا بحلول موعد المناظرة .

وفتح باب القاعة المتصل بمنصة الخطابة ودخل مسيو 'شارل دوجيفال' .

سار 'دوجيفال' مباشرة إلى المنصة يحيط به حراسة : المفتش 'بيشو' واثنان من ضباط البوليس .

ونسى الحاضرون في ثورتهم وحماستهم أنهم مستأجرو مساكن 'دوجيفال' وأنه يبهظهم الإيجار ولا يقدم إليهم إلا بيوتا متداعية رطبة .. نسوا هذا أمام الحادث المنتظر فتحركت أيديهم ودوت القاعة بالتصفيق الحاد ..

صعد 'دوجيفال' إلى المنصة في خطوات مضطربة وعقد يديه على صدره في انفعال ووقف ينتظر .

وساد القاعة سكوت شامل ، حتى ليسمع المرء تردد الأنفاس في الصور .. كانوا جميعا ينتظرون .. ويترقبون .. ويتلهفون ..

ترى أمير 'أرسين لوبين' بوعده . ؟ ايحضر حقا . ؟ ام تكون هذه أول مرة ينكث فيها العهد . ؟ وإذا حضر فكيف يتسنى له الفرار ودار البلدية محاصرة ورجال البوليس السري منتشرون في كل مكان .

'سيحضر 'لوبين' .. كلا .. لن يجزئ على الحضور .. بل سيحضر .. بل لن يحضر ..

بهذا تهماس الحاضرون في وجل ولهفة .. ولكن الدقائق أخذت تتوالى دون أن يبدو أي أثر لـ 'أرسين لوبين' .

وفجأة نهض أحد الجالسين واقفا . واستقرت عليه الأبصار .. وقال الناس : ربما كان هذا هو 'لوبين' !

وتكلم الرجل وهو يعبث بلحيته الطويلة قائلا :

- بما أن 'أرسين لوبين' قد تخلف عن الحضور فإني ساتولى مناظرتك بدلا منه يا مسيو 'دوجيفال' كما اتفقنا على ذلك .

وسار إلى المنصة .. ثم قال :

- لقد أعددت نقاط الموضوع وأرى أن ..

ولكن قبل أن يمد يده إلى جيبه كان رجال البوليس السري قد اطبقوا عليه ، وقبل أن يذري أحد من الحاضرين حقيقة ما حدث كانوا قد انزعوه من المكان ومضوا به إلى إحدى القاعات المجاورة .

وتقدم المفتش 'بيشو' من 'شارل دوجيفال' وقال وقد اشرق وجهه ابتهاجا .

- هذا كل شيء يا سيدي . ! ولست أرى ما يدعو إلى بقائك ، فيمكتك أن تعجل بالانصراف .

وأمر ضابطي البوليس بمرافقة مسيو 'شارل دوجيفال' إلى سيارته .

وأسرع هو إلى القاعة المجاورة لاستجواب الأسير الملتحي . !

وكان مستر 'آرثر أنوس' ثائرا هائجا شديد الغضب .

وكان يصيح قائلا :

- تبا لكم . ! لماذا تشنون لحييتي . ! والله لو حاول أحد منكم إن يجذب لحييتي مرة أخرى لنقلت عنقه . ! ستعلم الدنيا بأسرها هذه الفضيحة التي ارتكبتها البوليس الفرنسي . !

وحين دخل 'بيشو' إلى القاعة اقترب منه أحد رجاله وقال :

- إنها لحية حقيقية .. غير مستعارة . !

فقطب 'بيشو' جبينه وقال :

- لحية غير مستعارة . ؟

- نعم .. لقد جذبناها مرارا بكل قوتنا فلم تنخلع في أيدينا . !

ومع الرجل أوراقه الشخصية التي تثبت أنه يدعى حقيقة 'آرثر أنوس' . !

ونظر المفتش 'بيشو' في الأوراق وعرف أنها صحيحة .

وأدرك أن غلطة قد ارتكبت .. غلطة جسيمة . !

وأقبل على الرجل يقول :

- لماذا جئت باريس . ؟

فصاح 'أنوس' مزجرا :

- لقد دعيت إلى الحضور .. كنت في لندن فاستدعيت .. جاعني سيد

لا اعرفه واعطاني أربعين جنيتها وطلب إلي أن أناظر مسيو 'شارل

دوجيفال' في موضوع عقوبة الإعدام .

فحملق المفتش 'بيشو' دهشا .. ما معنى ذلك .. لا شك أن هذا السيد المجهول هو 'آرسين لوبين' .. ولكن إلى أي غرض يرمي بدعوة 'آرثر أنوس' إلى القاء المناظرة . ؟

وهز 'بيشو' كتفيه وقال :

- مهما يكن من الأمر فقد استرحنا من 'آرسين لوبين' وأرغمناه على الفرار . أكرهناه على التخلف عن الحضور وهذا انتصار ينبغي أن يحسب له حساب . !

ورجع إلى إدارة الأمن العام فوجد المفتش 'جانيمار' في انتظاره وهو يتلطف على الانتباء .

وابتدره 'جانيمار' بقوله :

- كنت أوشك أن أخف إلى دار البلدية لاهنك بانتصارك العظيم

واقتناصك 'آرسين لوبين' .

فزوى 'بيشو' ما بين حاجبيه وقال :

- لا تتهم .

- اتهمك . ؟ أتريد أن تقول إنه أفلت منك . ؟

- حسبي أنتي أكرهته على عدم الحضور . !

وروى القصة .. فلما فرغ منها قال 'جانيمار' في غيظ وغضب :

- يا للحماقة . ! لماذا لم تتصل بنا تليفونيا . ؟

وانبعث واقفا وغادر مكتبه وهو يجري وعلى رغم شيخوخته هبط

السلم ونجا . واستقل سيارة امر سائقها بان يطير به إلى بيت مسيو

'شارل دوجيفال' .

وقال 'جانيمار' يسأل الخادم :

- هل مسيو 'دوجيفال' موجود . ؟

- نعم .. لقد رجع منذ ساعة .

- واين هو . ؟

- في غرفة مكتبه يا سيدي .

ولكن 'شارل دوجيفال' لم يكن في غرفة المكتب . لا ولم يكن في مخدع

طافوا بالحجرات يبحثون ويفتشون .. واخيرا عثروا عليه في غرفة
مهجورة فوق سطح المنزل .. وكان مقيدا كمكما .

حلوا وثاقه ورفعوا الكمامة عن فمه . فتكلم . !

قال إن "أرسين لويين" زاره بعد ظهر اليوم وهو جالس في مكتبه
يلقب النظر في المحاضرة ، نخل عليه "لويين" بواسطة السرداب السري
الذي يصل مباشرة بين الجراج وقاعة المكتب .

فقال "جانيمار" :

- وإن فإن "شارل دوجيفال" الذي استقبل "بيشو" والضابطين في
قاعة المكتب لم يكن أنت .. ؟

- لا .. لاني كنت سجيناً في هذه الغرفة .

فابتسم "جانيمار" وقال :

- الآن صح رأيي .. حضر إليك "لويين" وسجنك ثم تقمص
شخصيتك .. ارتدى ثيابك .. وتكر على صورتك .. وقلد صوتك .. ثم
ظهر على منصة الخطابة في تمام الساعة التاسعة .. كما وعد .. !
"بيشو" يتولى حراسة "شارل دوجيفال" وهو واقف على منصة الخطابة
نون أن يدري أن "دوجيفال" ليس سوى "أرسين لويين" متكرراً .. ! ياله
من شيطان .. ! لقد استطاع أن يبر بوعده ويفر هارياً غير مبال بالمئات
من رجال البوليس الذين انتشروا في المكان .. ! حقا إنه داهية أريب .. !
ولم ينصرف "لويين" خاوي اليدين .. كان في قاعة المكتب خزانة وكان
في الخزانة سندات لحاملها وأوراق مالية .. ومجموعة من الجواهر
قيمتها ربع المليون فرنك .. فاخترت .. !
وبعد شهر من هذا الحادث تلقت "إيغون دورني" رسالة مرفقا بها
شيك بربع المليون فرنك . وهذا نص الرسالة :

"اساء إليك "شارل دوجيفال" إساءة بالغة ... واهمل الطفلة البريئة

المسكينة .. وإنني لأعلم أن جراح قلبك لم تندمل .. فاسمحي لي بأن أقدم
إليك عزائي على صورة الشيك المرفق :

"أرسين لويين"

تمت بحمد الله